أدلة أهل السنة والجماعة

أو

الرد المحكم المنيع

على

منكرات وشبهات ابن منيع

في تهجمه على السيد محمد علوي المالكي المكي

تأليف

يوسف السيد هاشم الرفاعي

عضو مجلس الأمة ووزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء الكويتي سابقًا

أدلة أهل السنة والجماعة

أو

الرد المحكم المنيع

على

منكرات وشبهات ابن منيع

في تهجمه على السيد محمد علوي المالكي المكي

تأليف

يوسف السيد هاشم الرفاعي

عضو مجلس الأمة ووزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء الكويتي سابقًا

الكويت

الطبعة الأولى

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م



بســــم الله الرّحمن الرّحيــم



المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وسلم .

وبعد :ـ

نقد اطلعت على الكتاب الذي أصدرته الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد في الرياض بعنوان « حوار مع المالكي في رد منكراته وضلالاته » للشيخ عبدالله بن سليمان بن منيع .

وقد آلمني فيه إنقضاضه على السيد المالكي انقضاض السبع الكاسر على فريسته تهجماً على شخصه وعلمه ونسبه الشريف قبل أن يطلب منه الدليل الشرعي على آرائه وأفكاره المنتقدة كشأن العلماء من السلف الصالح رحمهم الله تعالى فجعل من نفسه الخصم والحكم منطلقاً من مركز القوة الذي يمثله لا من الدليل والحجة والبرهان .. وقد كان الأجدر به أن يدعو خصمه الى ندوة تلفزيونية أو إذاعية تتقارع فيها الحجج والبراهين وليته أعطاه الفرصة الشرعية المتكافئة للدفاع عن نفسه ـ وقد أصدر عليه أحكام الكفر والشرك والبدعة والضلال ـ ولم يهاجمه بمطبوعة شبه رسمية مطبوعة بالأموال العامة لا يملك الخصم أن يرد عليها بنفس القدرة والإمكانية في النشر والتوزيع والتمويل .. ورحم الله خصوم الشيخ ابن تيمية فإنهم لما خرج على الإجماع في بعض آرائه أقاموا له المناظرات الكثيرة المفتوحة في مصر ودمشق بحضور العلماء والوزراء وطلبة العلم ولم يحكموا عليه من طرف واحد كما فعل الشيخ ابن منيع في القرن العشرين .

وكنت قد التقيت بالشيخ عبدالله بن منيع ـ مؤلف هذا الكتيب ـ في أحد المؤتمرات الاسلامية في الهند منذ بضع سنوات ، فرأيته لطيفاً رقيقاً ذا دعابة ينسيك طول الطريق بحكاياته المسلية .. فلما طالعت مؤلفه الهجومي هذا ضد السيد العلوي وضد آراء عموم أهل السنة والجماعة فوجئت بارتدائه (جلد النمر) وامتشاقه سيف التكفير والتضليل والتشريك فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وأسأل الله لي وله العافية والسداد في القول والعمل وتذكر قوله صلى الله عليه وآله وسلم (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) رواه الشيخان ونذكره موقف

القصاص يوم القيامة بين الظالم والمظلوم والباغي والمبغي عليه وما رواه الامام البخاري وغيره .. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ كانت عنده مظلمة - أي ظلامة - لأخيه فلْيتحللّه منه اليوم فإنه ليس ثَمّ - أي ليس في الآخرة - دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحتْ عليه » .

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم طريقة المقاصَّة بين العباد يوم القيامة وذلك بأن يؤخذ من حسنات الظالم للمظلوم بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات طرح من سيئات المظلوم فطرحت على ظالمه .

هذا وقد علمنا الله تعالى في كتابه كيفية الحوار وآدابه مع الكفار والمشركين .. فهلا اقتبسناه لتعاملنا مع اخواننا المسلمين الذين نخالفهم الرأي .. فقد قال تعالى في معرض الجدال والحوار معهم (**والله يعلم المفسد من المصلح**) مفوضاً الأمر لعلم الله تعالى في أمر معلوم حقيقته وهو صريح الكفر والإيمان فكيف بالمتشابهات والفرعيات بين العلماء وطلبة العلم المسلمين .. وقال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم مخاطباً مشركي قريش بكل أدب وتواضع (وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) فهلا تأدبنا بأدب القرآن ونحن ندعي أننا حملته ودعاته وأهل الغيرة على القرآن والتوحيد .؟!

وهَلَّا تذكر المؤلف أن حقوق الأعراض وهو موضع المدح والذمِّ من الانسان سواء كان في نفسه أو سلفه يجب أن تصان عن الانتهاك . وهو تناولها بغيرِ حقٍّ . ويدخل تحت انتهاك الاعراض أمور كثيرة منها القذف والشتم والبهتان والغيبة وإشاعات الكلمات حول من هو بريء منها فإن ذلك يجري فيه القصاص يوم القيامة .

روى مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع .

فقال صلى الله عليه وسلم : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيام وصدقة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفكَ دم هذاً وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضي ما عليه أخذ من سيئآتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » ورواه الطبراني في الاوسط .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجيء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم بين الظُلمة والوعرة لقيه المظلوم فعرفه وعرف ما ظلمه به فما يبرح الذين ظُلموا يقصُّون (أي يقتصّون) من الذين ظَلَموا حتى ينزعوا ما في أيديهم من الحسنات فان لم تكن لهم حسنات رُدَّ عليهم من سيئاتهم - أي سيئات أصحاب الحقوق - حتى يُورَدوا الدرك الاسفل من النار »[1] .

وروى ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقي الله مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله » .

ورواه الاصبهاني وزاد : قال سفيان بن عبينة : هو أن يقول : اق . يعني لا يتم كلمة اقتل . ا هـ وروى البيهقي نحوه من حديث ابن عمر .

وإنه من واجبي الشرعي ومما أتقرب به إلى الله تعالى ثم رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم أن أتقدم للدفاع عن السيد الشيخ محمد علوي المالكي فالسيد المالكي مني وأنا منه يؤذيني ما يؤذيه ويسرني ما يسره كما قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن بضعته الطاهرة البتول وسبطه الحسين رضي الله عنهما وعليهما السلام .. وأنا مع السيد المالكي أناصره في الحق وبالحق .. بالدليل الشرعي المسند لا بالحمية الجاهلية والهوى .. فكلنا ولله الحمد وقاف عند حدود الله تعالى خائف له تعالى راج لرحمته .. لا نتناصر الا بالحق ويرد بعضنا بعضا عن الهوى والباطل .. وأنا وإياه أغير على سنة إمامنا ونبينا وجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الشيخ ابن منيع أو الشيخ الجزائري أو الشيخ التويجري الذين تناصروا على السيد المالكي أشراً وبطراً ومرجعنا جميعا إلى الله تعالى هو الحكم العدل يوم القيامة (**اليوم تُجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب**) سورة غافر الآية/١٧ .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من ذكر امرءاً بشيء ليس فيه ليعيبه به حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاد ما قال فيه » . رواه الطبراني بإسناد جيد وفي رواية

---

(١) قال في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الاوسط ورجاله وثقوا . ا هـ .

له : « أيُّما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها بريء يشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله أن يذيبه يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاد ما قال » .

وروى أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه رَدْغة الخَبال حتى يخرج مما قال » . وفي روايةٍ الطبراني : « وليس بخارج » .

وقد رأيت من واجبي نصرة الظلوم وهو السيد العلوي لأن الذي يُعاب عنده أخوه المسلم أو يُغتاب وهو ساكت على ذلك فهو آثم في الدنيا والآخرة .

ولأن في حمايةِ المؤمن المظلوم المستضعف المقهور من ظالمه الباغي المتسلط عليه أجراً وثواباً عظيماً فقد روى أبو داود عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيهِ رضي الله عنه عن النبيِ صلى الله عليه وسلم قال : (من حمى مؤمناً من منافق بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن رمى مسلماً يريد به شينه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال)

وروى أبو داود وابن أبي الدنيا وغيرهما عن جابر بن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من امرىءٍ مسلمٍ يخذل امرءاً مسلماً في موضع تُنتَهك فيه حرمته . ويُنتقص فيهِ من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرىء مسلم ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحبّ فيه نصرته » .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من اغتيب عنده أخوه المسلم فلم ينصره وهو يستطيع نصره أدركه إثمه في الدنيا والآخرة » .

رواه أبو الشيخ في كتاب التوبيخ والاصبهاني كما في ترهيب المنذري ..

كيف وأن في الانتصار للمظلوم المُفترى عليه السيد الشيخ محمد بن المرحوم السيد الشيخ علوي المالكي ، انتصاراً لعموم مذهب

أهل السنة والجماعة من اتباع السلف الصالح الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم لذلك أسميت هذا الكتاب (أدلة أهل السنة والجماعة) أو الرد المحكم المنيع على منكرات وشبهات ابن منيع .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

يوسف السيد هاشم الرفاعي



« الفصل الاول »

استعداء السلطة على الخصم بدل المحاجة والمناظرة ليس من سنة وشيم السلف من العلماء

المعلوم والواضح للجميع أن الشيخ ابن منيع واعوانه من المشايخ في « الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد » من خصوم الشيخ السيد محمد علوي المالكي المهاجَم في (الحوار) - هم في المركز القوي إذ يملكون الهيمنة المطلقة على شؤون المسلمين في البلاد. ويملكون فرض آرائهم ومعتقداتهم على خصومهم ولديهم كذلك الأموال الموضوعة تحت تصرفهم لطبع ونشر ما يريدون وما يحبون .. فلماذا إذن ترك سلاح الحجة والمناظرة مع السيد العلوي واللجوء إلى سلاح (استعداء السلطة والسلطان عليه) كما بين ذلك الشيخ ابن منيع نفسه عندما نشر مقررات ومكاتبات الرئاسة العامة وشكاواها ضد السيد العلوي الذي استفرد به خصومه وضايقوه في دينه ورزقه والذي لا يملك إلا رأيه وحجته من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ولقد كانت الحكومة السعودية برموزها الكبيرة في موقف الشرع والحكمة والعدالة والحق عندما لم تستجب استجابة كاملة لكل ما طالب به خصوم السيد المالكي فقمعت الفتنة وآثرت التروي والحكمة وكأنها وهي خادمة (الحرمين الشريفين) مهوي ومهبط قلوب المسلمين جميعاً ، وكأنها وهي تحمل شعار (العلم والإيمان) في العالم الاسلامي كله بما فيه من آراء ومذاهب اسلامية متعددة ، وكأنها وهي بلد (الجامعات السبع) ، أثبتت مصداقية التزامها بشعاراتها ومواقفها المعلنة . لأن المسائل المثارة بين الشيخ السيد محمد علوي المالكي ومخالفيه من المسائل الخلافية التي طالما ثار حولها الجدل في تاريخ المسلمين منذ القرن السابع الهجري عندما خالف الشيخ ابن تيمية رحمه الله جمهور العلماء في بعض المسائل التي يتبناها حاليا الشيخ ابن منيع وجماعته .. وإذا كان البعض من محبي الشيخ ابن تيمية رأوا في حجر جمهور العلماء آنذاك على آراء شيخ الاسلام

واستعداء السلطة عليه آنذاك ومحاكمته من أجلها انتهاءً بتقييد حريته وسجنه رضي الله عنه ؛ استبداداً وإرهاباً فكرياً لا يليق بالعلماء ولا ينسجم مع (حرية الفكر والتفكير والاجتهاد) في الاسلام وهو الحنيفية السمحاء .. فإننا نربأ بأتباعه ومحبيه من أمثال الشيخ ابن منيع وشيوخه أن يسلكوا هذا المسلك مع زميل لهم في العصر الحاضر يقف ـ من حيث قلته وضعفه المادي لا العلمي ـ موقف الامام الشيخ ابن تيمية بالأمس ويقف خصومه منه موقف خصوم شيخ الاسلام رحمه الله بالأمس وقديماً قيل :

لا تنـــه عن خلق وتـــأتـــي مثلـــه
عـــار عليـــك إذا فـــعلـــت عظيـــم

علماً بأن الحق ـ في الميزان الشرعي ـ مع الشيخ السيد العلوي لأنه يعبر عن مذهب وآراء علماء المسلمين وعامتهم وسوادهم الأعظم خارج المملكة وداخلها أي أتباع مذهب (أهل السنة والجماعة) وهم أغلبية المسلمين . وقد يعترض الشيخ ابن منيع قائلا : ـ إن العبرة ليست بالكثرة لأن الله تعالى يقول : (**إلا الذين آمنوا وعملـوا الصالحات وقليل ما هم**) ونحن نرد عليه قائلين : هذه الآية في حق الكثرة من (أمة الدعوة) من البشر ، أما بالنسبة (لأمة الاجابة) وهي أمة محمد صلى الله عليه وسلم فإن كثرتها مع الحق بإذن الله تعالى وقد بشرنا بذلك وأكد هذه الحقيقة التي هي أن الحق مع الجمهور من علماء المسلمين وعامتهم سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي حسنه الترمذي . ورواه عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمدٍ صلى الله عليه وسلم على ضلالة ويد الله مع الجماعة) .

---

(١) هذا الحديث أخرجه الترمذي بهذا اللفظ . وقال هذا الحديث غريب من هذا الوجه . انظر طبعة القاهرة . الحديث رقم ٢٢٥٦ . والترمذي بشرح ابن العربي (١١/٩) . لكن الجزء الاول من هذا الحديث وهو « لا يجمع الله أمتي على ضلالة » قال الحافظ العراقي : رواه البيهقي في المدخل من حديث ابن عباس بلفظ « لا تجتمع أمتي على ضلالة » . ولابن ماجة من حديث أنس بلفظ « ان أمتي لا تجتمع على ضلالة » رقم ٣٩٥٠ . وروى من حديث أبي ذر . وابي مالك الاشعري . وابن عمر . وابي نصرة . وقدامة وفي كلها نظر وحسنة الترمذي . انظر تخريج أحاديث منهاج البيضاوي للحافظ العراقي مخطوط .
وأما جملة « يد الله مع الجماعة » فقد رواه الترمذي عن ابن عباس . وقال : حسن رقم الحديث ٢٢٥٥ ورواه الطبراني في الكبير بلفظ « يد الله على الجماعة » وعلى كل فللحديث طرق

موقف الشيخ الجزائري

اعتمد الشيخ ابن منيع في حواره على كتيب للشيخ (أبو بكر الجزائري) سماه (الانصاف فيما قيل في المولد من الغلو والاجحاف) في معرض تهجمه على السيد العلوي ، وخاصة علماء المسلمين وعامتهم من سواد هذه الأمة ، بسبب احتفالهم بالمولد النبوي الشريف واعتقاد مشروعيته . وحقيق بهذا الكتيب أن يسمى (الاعتساف فيما قيل في المولد النبوي من الغلو والاجحاف من قبل الجفاة وأرباب الخلاف)..

ولا أدري هل الشيخ الجزائري لا يزال جزائرياً أم أنه أصبح مواطناً سعودياً يصول ويجول كما يشاء لأنه أصدر بعد كتيبه الصغير ذاك رسالة صغيرة أخرى سماها (من رسائل الدعوة : كمال الأمة في صلاح عقيدتها ـ شرح آية ـ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) مؤرخة في ١٤٠٣/٨/٢٩هـ .. سار فيها على منوال الشيخ ابن منيع في التهجم والهجوم على السيد المالكي إلا أنه لم يسمّه ـ لسبب لا أعرفه حتى الآن ـ وإن كان قد أشار إليه باعتباره (مؤلف كتاب « الذخائر المحمدية » الذي نشر الاعتقادات الفاسدة البطالة والبدع المفسقة والمكفرة).

لقد ادعى الشيخ الجزائري في مقدمة رسالته تلك أن هدفه النصيحة إلا أنه في ختامها لبس جلد النمور والأسود ، وبعد أن أسرف في مهاجمة خصومه الفكريين بعبارات قاسية ، التفت الى رجالات الحكومة السعودية ورموزها فشملهم بهجومه الكاسح متهماً إياهم بالفتور في دعوة التوحيد معللا ذلك بما نصه (لانشغالهم بمهام حكمهم وتغير الظروف والأحوال عليهم) كما ورد في الصفحة (٢٥) من رسالته التي طبعت ووزعت ثلاث مرات في داخل وأمام المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة ولا تزال . فاتق الله أيها الشيخ فقد بقي من العمر القليل .

وموقف آخر للشيخ التويجري

وبينما أنا اتهيأ لاختتام ردي هذا على الشيخ ابن منيع ، أصدر المدعو (حمود بن عبدالله بن حمود التويجري) ولعله من طلبة العلم أو

شيخ من المشايخ في المملكة ، لأني لم أعرفه أو أسمع عنه من قبل ، كما أنه لم يعرف بنفسه في مقدمة كتابه ولم يعرّف به أحد .. كتاباً سماه (الرد القوي على الرفاعي وابن علوي وبيان أخطائهم في المولد النبوي) والكاتب كما يبدو لي من تصفح كتابه لا يخلو من إلمام بعلم الحديث الشريف كما أنه كان أكثر ورعاً وخوفاً من الله تعالى من الشيخ ابن منيع فلم يطلق على السيد المالكي أو على شخصي الضعيف ألقاب (الشرك والكفر والضلال) كما فعل الشيخ ابن منيع واخوانه في كتابه (الحوار) حيث صبوا على السيد المالكي أفذع الصفات حتى اتهموه بارتكاب (الكفر البواح) كما ورد في مقدمة الكتاب في الصحفة (٥) منه .. مما يعني - والعياذ بالله - هدر دمه واخراجه من الملّة . نعوذ بالله أن نكون ممن (إذا خاصم فجر) ونسأله تعالى تحري الحق والعافية وأن نكون ممن (وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد) .

وأعود إلى كتاب الشيخ (التويجري) لأقول إن لدي عليه الملاحظات التالية :

١ - أنه يستهل رده على كل دليل من الأدلة التي سقتها في مقالي المنشورين في جريدة (السياسة) الكويتية بتاريخي ١٢ و ٢٣ ربيع الأول سنة ١٤٠٢هـ بالحديثين الكريمين (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (كل بدعة ضلالة) وأنا لا أختلف معه في صحة هذين الحديثين الشريفين ولكني اختلف معه في فهم معناهما ومدلولهما ومفهوم البدعة والسنة .. وهذا محله (بحث البدعة والسنة) من كتابي هذا فليراجعه الشيخ التويجري .

٢ - أنه ركز ردّه وقصره على مهاجمة (الاحتفال بالمولد النبوي الشريف) مدعياً عدم مشروعيته ومهاجماً الأدلة التي أوردتها والسيد المالكي على مشروعيته . وحتى لا يكون هذا (الرد) طويلاً ومملاً للقارىء الكريم فإني سوف أخص مشروعية (المولد النبوي الشريف) برسالة خاصة تصدر قريباً بإذنه تعالى ، مكتفياً بأن أنشر الآن في نهاية هذا (الرد) مقالاً قصيراً للدكتور الشيخ محمد سعيد بن الملا رمضان البوطي - من علماء أهل السنة والجماعة في بلاد الشام المعاصرين - حول هذا الموضوع وبيان مشروعيته ، وفيه الافادة لمن يريد الحق ويهجر العناد .

٣ ـ أن مستنده الأخير تكراره وترديده أن معظم الأدلة مستقاة ومأخوذة من كتب السيد محمد علوي المالكي .. مثل كتابه (حول الاحتفال بالمولد النبوي) وكتابه الآخر (الذخائر المحمدية) مما جعل رده ركيكا ومملاً ومضيعاً لوقت قارئه وفيما عدا هاتين النقطتين لا نجد جديداً قدمه الشيخ التويجري في هذا الكتاب الضخم (والرد القوي) الذي أتعب نفسه فيه إلا تخريجه لمعظم الأحاديث النبوية التي سقتها أنا أو ساقها السيد المالكي أو ساقها هو نفسه وهذا جهد يشكر عليه ويدل على اهتمامه بعلم الحديث الشريف مما يفوق به الآخرين من أقرانه .

وبالنسبة لاتهامه لي بالاعتماد على كتب السيد المالكي والاستعانة بأدلته على مشروعية المولد النبوي الشريف وما سماه هو (سرقة) فهذا شرف لا أنكره ولم يكتشف الشيخ التويجري جديداً أو أمراً مطلسماً مخفياً لو أنه رجع فيما كتبته أنا ونقله هو حرفياً في كتابه إلى ما يلي :-

١ ـ أنني ذكرت في مقالي ـ كما نقله الشيخ التويجري عني في صفحة ٦٧ من كتابه ـ بعد أن بينت أن الاحتفال بالمولد النبوي جائز شرعاً قياساً على صيام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم عاشوراء الذي نجا الله تعالى فيه موسى من فرعون والغرق ، بينت أن مرجعي في ذلك (مقدمة المورد الروي في المولد النبوي لعلي القاري) . ولأن الشيخ التويجري لم يقرأ هذه المقدمة ولم يعرف صاحبها ـ وهو السيد العلوي المالكي نفسه ـ جازف باتهامي بسرقة أدلتـه دون الإشارة إلى صاحبها .. وهذا مرده العجلة وسوء الظن وعدم الوقوف عند قوله تعالى (**فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**) .

٢ ـ أنني ذكرت اسم السيد محمد علوي المالكي صريحاً وكاملاً في ذلك المقال مطالباً برفع (الارهاب الفكري) ضده من قبل مخالفيه من العلماء .. وكان عنوان وموضوع مقالي (الرد على الشيخ عبدالعزيز بن باز) عندما هاجم الاحتفال بالمولد النبوي واعتبره شركا

وبدعة ..ومعروف أن السيد المالكي من أوائل الذين سوف يطلعون على هذا المقال لورود اسمه فيه صريحاً .

٣ ـ أن الموقف الضيق الحرج بالنسبة للسيد المالكي كان يقتضي نشر أدلته الشرعية وتبنيها والدفاع عنها من قبل الآخرين باعتبارها أدلة عامة مشتركة لجميع مشاركيه في الرأي من أهل السنة والجماعة الذين هم السواد الأعظم للأمة الاسلامية في عالم المسلمين .. وهذا ما فعله العبد الفقير متحرياً به وجه الله تبارك وتعالى في بيان الحق ونصرة المظلوم .

وأخيرا .. هل تقبل شهادة ابن منيع على السيد المالكي ؟

الجلي البين في كتاب الشيخ ابن منيع الذي كرسه للهجوم على الشيخ السيد محمد علوي المالكي .. أنه يتبرأ من عقيدته وآرائه وأفكاره .. فهو إذن مخالف له في العقيدة .. علماً بأن كل من إطلع على الكتاب الأخير للسيد المالكي (قل هذه سبيلي) وخاصة في فصل الإيمان والعقيدة ، علم وتيقن صفاء وسلامة عقيدته وتوحيده وكذب وأفتراء مخالفيه عليه ، مما سيحاسبون عليه يوم القيامة حساباً عسيراً .. وبمناسبة الحديث عن هذه المسألة الهامة وهي (المخالفة في العقائد) بين الإثنين .. أود أن أورد كلاماً نفيساً للامام العلامة المحقق (تقي الدين بن دقيق العيد المتوفي سنة ٧٠٢ هـ) والذي قال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ ج٤ ص ١٤٨١ (الامام ، الفقيه ، المجتهد المحدث ، الحافظ العلامة ، شيخ الاسلام).

وقد ذكره في (باب معرفة الضعفاء) وهو الباب الثامن من كتابه (الإقتراح في بيان الاصطلاح) تحقيق قحطان الدوري ـ طبع مطبعة الارشاد في بغداد سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م . حيث قال ما نصه : « وهذا الباب تدخل فيه الآفة من وجوه : **أحدها** وهو شرها الكلام بسبب الهوى والغرض والتحامل ..

وقد ذكر أبو عمر بن عبدالبر الحافظ (صاحب الاستيعاب) أموراً كثيرة عن أقوام من المتقدمين وغيرهم ، حكم بأنه لا يلتفت إليها ،

وحمل بعضها على أنها خرجت عن غضب وحرج من قائلها .. ومن رأيه أن من اشتهر بحمل العلم فلا يقبل فيه جرح إلا ببيان هذا أو معناه .) **وثانيها** المخالفة في العقائد :ـ فإنها أوجبت تكفير الناس بعضهم لبعض أو تبديعهم ، وأوجبت عصبية اعتقدوها ديناً يتدينون به ، ويتقربون به الى الله تعالى ، ونشأ من ذلك : الطعن بالتكفير أو التبديع .. وهذا موجود كثيراً في الطبقة المتوسطة من المتقدمين ..).

ثم ختم الامام ابن دقيق العيد كلامه النفيس هذا بقوله : (**والذي تقرر عندنا : أنه لا تعتبر المذاهب في الرواية إذ لا نكفر أحداً من أهل القبلة**) . وفي الحاشية ذكر محقق الكتاب أن نص الامام ابن دقيق العيد ورد في شرح (العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٣٥٥) : (**ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ، ما لم يستحله**).

وبهذا الكلام النفيس نتحصل على جواب السؤال عن مدى صحة قبول شهادة ابن منيع على السيد المالكي للمخالفة في العقائد من جهة ولكون الشيخ ابن منيع خالف رأي العلماء من السلف الصالح كالامام ابن دقيق العيد الذين لايبيحون أبداً تكفير أحد من أهل القبلة والاسلام خاصة إذا انعدم الدليل والبرهان الساطع البين الصريح .

الطعن والتشكيك في الأنساب من الكبائر

المعلوم لطلبة العلم والعامة فكيف للعلماء قوله صلى الله عليه وآله وسلم (الناس مؤتمنون على أنسابهم) وأن (الطعن في الأنساب من الكبائر) فكيف بعد هذا يتحمل الشيخ ابن منيع ويوافقه المشايخ المراجعون لكتابه والرئاسة العامة التي صدر الكتاب في (ثلاث طبعات) حتى الآن على حسابها من أموال (بيت مال المسلمين) على المساس بالأنساب غمزاً ولمزاً حيث ورد في (الحوار) بحق السيد المالكي قول المؤلف (صفحة ٤٢):ـ

لقد نشرنا أملنا في أن تكون شهادته نبراساً له في طريق الدعوة إلى الله بما يرتضيه جده صلى الله عليه وسلم على افتراض صحة نسبته إليه) .

وقوله في الصفحة (١٩١) : (وكم أتمنى أن يكون المالكي وهو يذكر أنه أحد أسباط رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهذه صيغة (تمريض) كانٍ يجب أن يتبرأ منها ويتورع عنها من هو أقل علماً من المؤلف وانتساباً للعلم الشريف ..

اللهم ألبسنا ثوب الورع العميم وأعذنا بحولك وقوتك من العذاب الأليم فليس المؤمن بسباب ولا فاحش ولا بذيء .

واجعلنا اللهم من أحباب أهل بيتك نبيك الكريم الذين قلت فيهم .. (**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**) وقال فيهم صلى الله عليه وآله وسلم (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي) أخرجه الترمذي وحسنه والطبراني عن ابن عباس . ورحم الله القائل :

كانت مودة سلمان لهم رحم * ولم يكن بين نوح وابنه رحم .

* (الرد على الحوار) *

قال الشيخ ابن منيع : (إن المالكي بما قرأنا له في كتابه ـ الذخائر المحمدية ـ من ان الخلق خلقوا لأجل محمد ، وأن محمداً له علم شامل ، يعلم الروح والأمور الخمسة التي اختص الله تعالى بعلمها ، وأن له مقاليد السموات والأرض) إلى آخر ما قاله في حواره ص ١٨٦ .

ولي على ما سبق الردود التالية مستعينا بحوله تعالى وقوته القوية فانه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

« الفصل الثاني »

ولأجله خلقتك

يذكر بعض العلماء في كتب المناقب أن من جملة خصائصه صلى الله عليه وسلم أن الكون خلق لأجله وممن ذكر هذه الخصوصية الحافظ جلال الدين السيوطي والحافظ القسطلاني والشيخ الزرقاني وصحح أحاديث هذه الخصوصية الحافظ الحاكم والسبكي والبلقيني .

فقد أخرج الحاكم والبيهقي والطبراني في الصغير وأبو نعيم وابن عساكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لما اقترف آدم الخطية قال : يارب ، بحق محمد لما غفرت لي ، قال : وكيف عرفت محمدا ؟ قال : لانك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . قال : صدقت يا آدم ولولا محمد ما خلقتك .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد . وقال الذهبي : بل هو موضوع

(المستدرك وتلخيصه ج٢/٦٥١)
(والمواهب اللدنية وشرحها ح ١ ص ٦٢)

قلت : وقول الذهبي أنه موضوع تعنت منه ، وهذا ليس بغريب لأنه معروف في ميزان الجرح والتعديل بأنه من المتشددين .

وقد ذكر هذا الحديث البيهقي في كتابه المشهور دلائل النبوة وهو ملتزم أن لا يخرج حديثا في كتابه يعلم أنه موضوع كما نص عليه الحافظ السيوطي في كتابه التوحيد من اللآلي المصنوعة . وقد ذكر في مقدمة كتابه الدلائل هذا ما يفيد قبول الاحاديث التي يرويها فهذا الكتاب وهي ضعيفة وأنه يكتفي بالصحيح (ص ٥ دلائل النبوة) .

وقد قال الذهبي عن هذا الكتاب اي (دلائل النبوة) عليك به فإنه كله هدى ونور اهـ من شرح المواهب ج ١ ص ٦٢ .

وقد ذكر البيهقي هذا الحديث في كتابه دلائل النبوة في باب ما جاء في تحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعمة ربه عز وجل لقوله تعالى : (**وأما بنعمة ربك فحدث**) ثم قال بعد أن ساقه : تفرد به عبدالرحمن ابن زيد بن أسلم من هذا الوجه عنه وهو ضعيف اهـ .

وأيد ذلك الحافظ عماد الدين ابن كثير حيث نقل هذا الحديث في كتابه البداية والنهاية ، ولم يعترض عليه بشيء (البداية ١/ ١٨٠).

وأخرج الحاكم وصححه وأقره السبكي والبلقيني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أوحى الله إلى عيسى : آمِنْ بمحمد ومُرْ من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به ، فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار . ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه (٢/٦١٥)

وقال الذهبي : قلت أظنه موضوعا على سعيد .

قلت : وذكر هذا الحديث الامام محمد بن يوسف الشامي في كتابه المعروف بالسيرة الشامية ، وقال : رواه أبو الشيخ في طبقات الاصفهانيين والحاكم وصححه وأقره السبكي وشيخ الاسلام البلقيني في فتاويه . وقال الذهبي في سنده عمرو بن أوس لا يدري من هو .

وروى الديلمي في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أتاني جبريل فقال : يا محمد ، إن الله يقول : لولاك ما خلقت الجنة ، ولولاك ما خلقت النار (السيرة الشامية ١/ ٩٤) .

وذكر الحديث أيضا السبكي في شفاء السقام وصححه (ص ١٦٢).
كما ذكر الحديث الشيخ ابن تيمية في فتاويه الكبرى ج٢/١٥١ .
وقال : روى أبو نعيم الحافظ في كتابه دلائل النبوة ، ومن طريق الشيخ أبي الفرج بسنده إلى عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أصاب أدم الخطيئة رفع رأسه فقال يارب ، بحق محمد إلا غفرت لي فأوحى اليه وما محمد ؟ ومن محمد ؟ فقال : يارب ، إنك لما أتممت خلقي رفعت رأسي إلى عرشك ، فاذا عليه مكتوب : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنه أكرم خلقك عليك ، إذ قرنت اسمه مع اسمك . فقال : نعم ، قد غفرت لك ، وهو أخر الانبياء من ذريتك ، ولولاه ما خلقتك . قال ابن تيمية : فهذا الحديث يؤيد الذي قبله ، وهما كالتفسير للاحاديث الصحيحة .

(قلت) فهذا يدل على أن الحديث عند ابن تيمية صالح للاستشهاد والاعتبار لأن الموضوع أو الباطل لا يستشهد به عند المحدثين ، وأنت ترى أن الشيخ استشهد به هنا على التفسير - وبهذا ظهر أن الحديث هذا صححه جماعة من العلماء لا يستهان بهم كالحاكم والسبكي والبلقيني والبيهقي إذ أخرجه في كتابه الذي شرط فيه أن لا يخرج الموضوعات وكذلك ابن كثير والقسطلاني والزرقاني وكون الذهبي رده أو حكم بأنه موضوع لا يؤثر شيئا ، وليس رأي الذهبي بأولى من رأي الحاكم والبيهقي فمن رد الحديث من أجل فساد المعنى ، فهذا إجتهاد منه في الفهم ، ونحن لنا اجتهاد آخر في الفهم ، ومن رده من أجل حكم الذهبي فنحن نقبله من أجل حكم الحاكم والبيهقي .. ومن قال أن الحاكم متساهل في الحكم بالصحة ، فعليه أن يعلم أن الذهبي مسرف في الحكم بالوضع . وقد حكم كثير من العلماء على أحاديث بالوضع فلم يُسلم قولهم كابن الجوزي فانه أورد في كتابه (الموضوعات الكبرى) الضعيف بل الحسن بل الصحيح مما هو في سنن أبي داود وجامع الترمذي وسنن ابن ماجة ومستدرك الحاكم وغيرها من الكتب المعتمدة بل فيه حديث في صحيح مسلم حتى قال بعض العلماء :-

ومن عجيب ما يُرى للمسلم * فيه حديث من صحيح مسلم

والحديث يدل على مزيد التكريم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يعارض شيئا من أصول التوحيد ، وليس فيه انتزاع لحق من

حقوق الربوبية أو صفات الألوهية بل إنه تشهد له كثير من الحقائق المعتبرة .

فمن ذلك أن الله سبحانه وتعالى أخبر في كتابه العزيز أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين . قال تعالى : (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) فثبت أنه صلى الله عليه وسلم رحمة . وأن هذه الرحمة للعالمين ، ولا بد لتحقيق هذه الرحمة من وجود العالمين . فهم مظهر تحقق تلك الرحمة ، فلا حرج أن يقال : إن العالم خلق من أجل تلك الرحمة المتعلقة به .

ومن ذلك ، أن الله سبحانه وتعالى قال : (**وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون**)

وهذا يفيد أن من الحكم الالهية لايجاد الخلق هو العبادة له ـ سبحانه وتعالى . وهذه العبادة التي من أجلها خلق الخلق لا تكون إلا في الدنيا . فهي مظهر تلك العبادة ومحلها ومشدها ، فمن لازم القضية أن نقول أن الكون كله خلق من أجل إقامة العبادة لله سبحانه وتعالى ، فلا حرج لو قال قائل : ان الله سبحانه وتعالى خلق الكون من أجل عباده الخالصين المخلصين العابدين الطائعين .

ومحمد صلى الله عليه وسلم هو سيدهم وإمامهم وخلاصتهم ومرشدهم وخاصتهم فما الحرج لو قال قائل : إنه خلق الكون من أجله أيضا ؟

روى **عبدالرزاق** عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه قال : قلت (يا رسول الله بأبي أنت وأمي : أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء . قال : يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره) إلى آخر الحديث الذي رواه عبدالرزاق .

وروى **ابن عساكر** عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال : (هبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن ربك يقول إن كنت اتخذت ابراهيم خليلاً فقد اتخذتك حبيباً وما خلقت خلقاً أكرم عليَّ منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا).

والحاصل أنه لولاى ما خلق الكون ، ولولاك ما خلق الكون ولولا العباد كلهم ما خلق الكون ، ولولا محمد صلى الله عليه وسلم ما خلق الكون فالخطب سهل إلا أن الدرجات متفاوتة . ولا يشهدها إلا ذو

بصيرة . ولما كان حال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في العبادة التي من أجلها خلق الكون ليس كغيره ، صح أن يقال (خلق الكون من أجله) ولم يقل أحد في غيره ذلك القول .

ومن ذلك قوله تعالى : (**خلق لكم ما في الارض جميعا**) . (**وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار**) .

وإذا كانت هذه الامور إنما خلقت لأجل البشر وأبي البشر إنما خلق لأجله صلى الله عليه وسلم . كانت الدنيا إنما خلقت لأجله صلى الله عليه وسلم . وذلك لمجرد التكريم .

وأوَّل الأرواح البشرية خلقاً هو روح السيِّد الأعظم صلى الله عليه وسلم كما أخبر عن ذلك بقوله : « كنت أول الناس في الخَلْق وآخرهم في البعث » رواه ابن سعد مرسلا بإسناد صحيح ، ورواه أبو نعيم وابن أبي حاتم في تفسيره وابن لال والديلمي كلهُم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : « كنت أول النبيين في الخَلْق وآخرهم في البعث » . وهذه الرواية تفسِّر رواية ابن سعد وأن المراد من الناس الأنبياء ، فهو صلى الله عليه وسلم أوَّلهم في عالَم الأرواح وخاتمهم في عالم الأشباح صلى الله عليه وسلم ، وقد نبَّأه الله تعالى في عالَم الأرواح قبل الأنبياء كلِّهم ، فبه فُتحتْ النبوة في عالم الأرواح وبه خُتمتْ في عالم الأشباح صلى الله عليه وسلم . فهو الفاتح وهو الخاتم .

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا : يا رسول الله ، متى وجَبَتْ لك النبوة ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد » وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب ورواه أبو نعيم والبيهقي والحاكم وصحَّحه ، ورواه البزار والطبراني وأبو نعيم أيضاً من رواية ابن عباس رضي الله عنهما . وروى أحمد وابن حبان والحاكم وصححاه وأقره الذهبي عن العرباض بن سارية انه صلى الله عليه وسلم قال : (إني عند الله لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ...)

وعن ميسرة الفجر قال : قلت : يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « كنتُ نبياً وآدم بين الروح والجسد » رواه الإمام أحمد والبخاري في التاريخ والطبراني والحاكم وصححه وقال الحافظ الهيثمي في رجال أحمد والطبراني : رجالها رجال الصحيح . اهـ .

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله صلى الله عليه وسلم : (أنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر).

نظائر لهذا التكريم الآلهي

وقد وقع من نوع هذا التكريم لأفراد من هذه الأمة وغيرهم من اتباع الرسل فيغفر الله سبحانه وتعالى لهذا من أجل هذا ويسامح هذا من أجل هذا ويشفع هذا في هذا كما جاء في أحاديث عرفة أن الله تعالى يقول للملائكة في حق الواقفين بعرفة الداعين إني أجبت دعاءهم ووهبت مسيئيهم لمحسنيهم (رواه أبو يعلي) وفي رواية الطبراني عن النبي صلى الله قال (إن الله وهب مسيئكم لمحسنكم وأعطى لمحسنكم ما سأل فادفعوا باسم الله) فلما كان (بجمع) قال إن الله عز وجل قد غفر لصالحيكم وشفع صالحيكم في طالحيكم .

وفي رواية للبيهقي أن الله تعالى يقول (إني قد غفرت له وشفعته في نفسه ولو سألني عبدي هذا لشفعته في أهل الموقف) .

وهذه الأحاديث ذكرها الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب في كتاب الحج ج ٣ ص ٣٢٣ وهي صالحة للاحتجاج وبمجموعها يصير الخبر صحيحا .

وقد جاء أن من عباد الله الصالحين من يرزق الله الكون لأجلهم فبهم يسقي العباد وينصرهم ويغيثهم ويدفع البلاء عنهم ويجلب الخير لهم ويرحم بهم أهل الأرض جميعا .

عن علي رضي الله عنه قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (البدلاء بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدله الله رجلا مكانه يستسقي بهم الغيث وينتصر بهم على الاعداء ويصرف عن أهل الشام العذاب) .

رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير شريح بن عبيد وهو ثقة وقد سمع من المقداد وهو أقدم من علي .

وعن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الابدال في هذه الأمة ثلاثون مثل خليل الرحمن عز وجل كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا) .

رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الواحد بن قيس وقد وثقه العجلي وأبو زرعة وضعفه غيرهما .

وعن عبادة بن الصمت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يزال في أمتي ثلاثون بهم تقوم الأرض وبهم تمطرون وبهم تنصرون » قال قتادة إني أرجو أن يكون الحسن منهم .

رواه الطبراني من طريق عمر ، والبزار عن عنبسة الخواص وكلاهما لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح .

وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن تخلو الأرض من أربعين رجلا مثل خليل الرحمن فبهم تسقون وبهم تنصرون ما مات منهم أحد الا أبدل الله مكانه آخر . قال سعيد سمعت قتادة يقول لسْنا نَشكُ أن الحسن منهم .

رواه الطبراني في الاوسط واسناده حسن (مجمع الزوائد ١٠/ص ٦٢)

عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق بهم أهل الأرض .

رواه الطبراني وهو حسن كذا في الجامع .

بل إن الله سبحانه وتعالى أكرم أمة بأسرها ومعها نبيها لأجل نملة حقيرة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خرج نبي من الأنبياء بالناس يستسقي فاذا هو بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء فقال : ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل هذه النملة رواه الدار قطني (مشكاة المصابيح ج ١ ص ٤٧٨).

فاذا صح أن يقال أن الله لأجل نملة سقى أمة بأسرها وفيها نبيها وصالحوها وأولياؤها فما المانع أن يقال ان الله خلق أدم لأجل محمد صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن المقصود بمحمد هو ذاته وشريعته ورسالته الخاتمة الكاملة العامة فالله خلق أدم والكون من أجل محمد للايمان به ونصرته وتأييده والإقرار برسالته التي ختم بها الرسالات وأكْمَل بها الدين وتمم بها مكارم الاخلاق .

وقد جاء أن الله تعالى أخذ العهد والميثاق على جميع الانبياء والمرسلين أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم إذا أدركوه وأن ينصروه ويؤيدوه ويكونوا من أتباعه وأن يأخذوا مثل هذا العهد على أممهم قال تعالى : **(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنُنّ به ولتنصرنّه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين)** .

قال علي وابن عباس رضي الله عنهما : ما بعث الله نبيا من الانبياء إلا أخذ عليه الميثاق ، لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه .

قال ابن كثير : فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامة عليه دائما إلى يوم الدين ، هو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد ، لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبيَاء كلهم ، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس ، وكذلك هو الشفيع في المحشر في إتيان الرب جل جلاله لفصل القضاء بين عباده ، وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له ، والذي يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين ، حتى تنتهي النبوة إليه فيكون هو المخصوص به صلوات الله وسلامه عليه .

إستشارة الحق سبحانه نبيه محمداً

ومن نظائر هذا التكريم ما جاء في الحديث أن الله سبحانه وتعالى استشار نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في شأن الأمة .

عن حذيفة قال : غاب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يخرج حتى ظننا أنه لن يخرج فلما خرج سجد سجدة حتى ظننا أن نفسه قد قبضت فيها فلما رفع رأسه قال إن ربي عز وجل استشارني في أمتي ماذا - أفعل بهم قلت ما شئت ربي هم خلقك وعبادك فاستشارني الثانية فقلت له كذلك فقال لا نخزيك في أمتك يا محمد وأخبرني أن أول من يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب ثم أرسل إلي فقال ادع تجب وسل تعط فقلت لرسوله أو معطى ربي عز وجل سؤلي قال ما أرسلني إليك الا ليعطيك ولقد أعطاني ربي عز وجل ولا فخر وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأنا أمشي حيا صحيحا وأعطاني أن لا تجوع أمتي ولا تغلب وأعطاني الكوثر من الجنة يسيل في حوضي وأعطاني العز والنصر والرعب يسير بين يدي أمتي شهرا وأعطاني أني أول الانبياء أدخل الجنة وطيب لي ولأمتي الغنيمة وأحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا من حرج . رواه أحمد . قال الهيثمي إسناده حسن (ج ١٠ ص ٦٨ مجمع الزوائد) .

وبهذا ظهر أن من قال بهذه الخصوصية وأثبتها للنبي صلى الله عليه وسلم هم رجال لا يستهان بهم من أئمة هذه الأمة وحفاظها كالحاكم والبيهقي والسبكي والسيوطي وابن الجوزي والزرقاني والقسطلاني . لهم دليل يستمسكون به وأصل يرجعون إليه لا من هواهم أو تعصبهم وبقي بعد ذلك البحث في صحة هذا الاصل أو عدم صحته وللمنكر أن يقول إن الأصل ليس بصحيح مثلا فينبني عليه عند من يعرف أصول البحث والنظر أن يقال للمستمسك به إنه مخطىء ولا يصل به الحال إلى أن يقال عنه إنه مشرك أو ضال (**سبحانك هذا بهتان عظيم**) إن هذه المسألة لا صلة لها بالشرك والكفر ، وإنما يدور البحث فيها فيما بين الصواب والخطأ والصحة والبطلان .

« الفصل الثالث »

النبي صلى الله عليه وسلم وعلم الغيب

مقدمة :

العلم بالغيب علمان : علم ذاتي مطلق تفصيلي محيط بجميع المعلومات الالهية بالاستغراق الحقيقي وهذا خاص بالله جل جلاله لا يشاركه فيه احد ومن اثبت شيئا منه ولو ادنى من ادنى من ذرة لاحد من العالمين فقد كفر وأشرك وبار وهلك ، وعلم عطائي مكتسب من الله تعالى لبعض عباده مثل الانبياء عليهم الصلاة والسلام . قال تعالى :-

١ ـ (عالم الغيب فلا يطلع على علمه احداً إلا من ارتضى من رسول)

٢ ـ وقال تعالى : **(وبشروه بغلام عليم)**

٣ ـ وقال : **(وإنه لذو علم لما علمناه)**

٤ ـ وقال : **(وعلمناه من لدنا علماً)**

٥ ـ وقال : **(وعلمك ما لم تكن تعلم)**

إلى غير ذلك من آيات كثيرة .

وهذا ما وفق إليه العلماء الأثبات في آيات النفي والإثبات ـ كما قال الامام أبو زكريا النووي في فتاواه والامام ابن حجر المكي في (الفتاوي الحديثية) وغيرهما أن معناها : (لا يعلم ذلك استقلالاً وعلم احاطة بكل المعلومات إلا الله تعالى . ولا يمكن أن تخطر شبهة مساواة علم المخلوقين طرأ أجمعين بعلم رب العالمين ـ لأنه علمه تعالى ذاتي وعلم الخلق عطائي ، علم الله واجب لذاته وعلم الخلق ممكن له ، علم الله أزلي سرمدي قديم حقيقي وعلم الخلق ـ ومنهم الأنبياء ـ حادث لأن الخلق كله حادث والصفة لا تتقدم الموصوف ، علم الله غير مخلوق وعلم الخلق مخلوق ، علم الله غير مقدور وعلم الخلق مقدور ومقهور ، علم الله تعالى واجب البقاء وعلم الخلق جائز الفناء ، علم الله ممتنع التغير وعلم الخلق ممكن التبدل . [١]

---

(١) (الدولة المكية بالمادة الغيبية) للشيخ العلامة احمد رضا خان رحمه الله

المنهج السليم للاستدلال بآيات القرآن الكريم

إن ملاك الأمر ومناط النجاة الإيمان بالكتاب كله ، وما ضل أكثر من ضل إلا أنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، كالقدرية آمنوا بقوله تعالى : (**وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**) وكفروا بقوله تعالى : (**والله خلقكم وما تعملون**) والجبرية آمنوا بقوله تعالى : (**وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين**) وكفروا بقوله تعالى : (**ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون**).

والخوارج آمنوا بقوله تعالى : (**وإن الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين**) وكفروا بقوله تعالى : (**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**) .

والمرجئة آمنوا بقوله تعالى : (**لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم**) وكفروا بقوله تعالى : (**من يعمل سوءا يجز به**) وأمثال ذلك كثير .

دليل علمه الغيب (صلى الله عليه وسلم) من القرآن الكريم

والقرآن الكريم الذي نص أنه (**لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله**) نص أيضا أنه : (**لا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول**) وقال : (**وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء**) وقال : (**وما هو على الغيب بضنين**) وقال : (**وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً**) وقال تعالى : (**ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون**) وقال تعالى : (**ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون**) وقال تعالى : (**تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك**) إلى غير ذلك من الآيات .

فهذا ربنا تبارك قد نفى نفياً لا مرد له أنه (**لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله**) وأثبت إثباتاً لا ريب فيه في آية أخرى أنه (**إلا من ارتضى من رسول**) . فالكل حق والكل إيمان ومن أنكر شيئاً منهما فقد كفر بالقرآن .

فمن نفى مطلقاً ولم يثبت بوجه فقد كفر بآيات الاثبات ومن أثبت مطلقاً ولم ينف بوجه فقد كفر بالآيات النافيات والمؤمن يؤمن بالكل ولا تتفرق به السبل .

نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم (خمس لا يعلمهن إلا الله) وقال الله عز وجل (**قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله**) فخصص الرسول وعمم الآله وإنا بكل مؤمنون .. فإن الخصوص لا ينفي العموم فلا يعلم الخمس إلا الله ولا يعلم غيرها من الغيوب التي هي أعلى وأشرف وأدق وألطف منها إلا الله بل لا يعلم أحد شيئاً إلا الله بل لا وجود حقيقياً إلا لله وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالتها العرب قول لبيد : (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) .

ولا يستطيع أحد أن يدعي أنه صلى الله عليه وسلم قد أحاط بجميع معلومات الله سبحانه وتعالى فإنه محال للمخلوق ذلك .

دليل علمه الغيب صلى الله عليه وسلم من الاحاديث الشريفة

قال الله تعالى : (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض) - حسبنا حديث البخاري عن أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه قال : (قام فينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم) وحديث مسلم عن عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه في خطبته صلى الله عليه وسلم من الفجر إلى الغروب وفيه : (فأخبرنا بما كان وبما هو كائن ، فأعلمنا أحفظنا) وحديث الصحيحين عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال : (قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقاماً ما ترك شيئاً سيكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به) وحديث الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه وفيه قوله صلى الله عليه وسلم (فرأيته عز وجل وضع كفه بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديي فتجلى لي كل شيء وعرفت) صححه البخاري والترمذي وابن خزيمة والأئمة بعدهم . وحديثه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : (فعلمت ما في السموات والأرض) وفي أخرى (فعلمت ما بين المشرق والمغرب) وحديث مسند الامام أحمد رضي الله عنه وطبقات

ابن سعد وكبير الطبراني بسند صحيح عن أبي ذر الغفاري ، وحديث أبي يعلي وابن منيع والطبراني عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنهما قالا : (لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً) . وفي الصحيحين في حديث الكسوف (ما من شيء لم أكن أريته إلا أريته في مقامي هذا) أو كما قال صلى الله عليه وسلم . وللطبراني في كبيره ونعيم ابن حماد في (كتاب الفتن) وأبي نعيم في (الحلية) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله رفع لي الدنيا فأنا انظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما انظر إلى كفي هذا) جليانا من الله تعالى جلاه لنبيه كما جلاه للنبيين من قبله (**وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين**) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

اقراره صلى الله عليه وسلم وعدم إنكاره لمن نسب إليه علم الغيب من الله تعالى

وقد أنشد سواد بن قارب رضي الله تعالى عنه عند النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً :

فأشهد أن الله لا شيء غيره * وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين شفاعة * إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب

هكذا رواه في المسند وإن كانت الرواية الأخرى (لا رب غيره) بدلاً من (لا شيء غيره). فسيدنا سواد بن قارب في مديحه :

١ ـ نفى الوجود عن كل شيء سوى الله تعالى لأن (كل شيء هالك الا وجهه) أو نفى ربوبية من سواه .
٢ ـ أثبت علم المغيبات لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث جعله أمينا على جميع الغيوب والجاهل بالشيء لا يكون أميناً عليه .
٣ ـ آمن بأن نبينا صلى الله عليه وسلم قد أعطى الشفاعة كما قال صلى الله عليه وسلم : (وأعطيت الشفاعة) .

(توضيح وبيان)

على أنه لا يجوز لأحد أن يدعي أن علمه صلى الله عليه وسلم مماثل ومساو لعلم الغيب أي واحد من أمته لأن الله تعالى عندما علمه أن يقول (إنما أنا بشر مثلكم) علمه أن يضيف إليها (يوحىٰ إلي) وأينا يوحىٰ إليه ؟! وقد عاب الله تعالى في محكم كتابه على المشركين (ادعاء المثليّة) مع الأنبياء وزعمهم إياها لقولهم (ما أنتم إلا بشر مثلنا) .

إن النبي صلى الله عليه وسلم علم الغيب المكتسب الحادث من علم الله تعالى الذاتي القديم بدليل ما سبق من قوله تعالى : **(وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً)** فقد امتن سبحانه وتعالى في هذه الآية على حبيبه صلى الله عليه وسلم بتعليمه ما لم يكن يعلم وختم الامتنان بما دل على عظمة تلك المنة العظمى وفخامة النعمة الكبرى فقال **(وكان فضل الله عليك عظيماً)** .

علم اللوح والقلم

وعلى ضوء ما سبق نستطيع أن نفهم ونتأول معنى قول الامام البوصيري رضي الله عنه (ومن علومك علم اللوح والقلم) فقد قال العلامة علي القاري في (الزبدة) شرح البردة تحت البيت المذكور ـ توضيحه (أن المراد بعلوم اللوح ما اثبت فيه من النقوش القدسية والصور الغيبية وبعلم القلم ما أثبت فيه كما شاء تعالى . وما في اللوح المحفوظ إلا الدنيا فإن الآخرة بعد اليوم الآخر ووراءها ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته التي لا يسعها لوح ولا قلم وقد قال الله تعالى في الدنيا **(قل متاع الدنيا قليل)** فأنىٰ يقع ما استقله الله تعالى مما استعظمه وكبر شأنه مع أن علمه صلى الله عليه وسلم قد تعدى ـ حسب ما مر بنا من أحاديث شريفة صحيحة ـ علم ما كان وما سيكون في الدنيا ، الى ما بعد اليوم الآخر من الحشر والنشر والحساب والكتاب ومشاهد ومواقف يوم القيامة مما بينه صلى الله عليه وسلم لأمته من تفاصيل ما هنالك من الثواب والعقاب الى نزول الناس منازلهم من الجنة والنار الى ما بعد ذلك مما شاء الله تعالى اعلامه له ، كما انه صلى الله عليه وسلم علم من ذاته عز وجل وصفاته ليلة الاسراء والمعراج وقبلها وبعدها ما لا يحصى قدره الا الله المانح تلك العطايا لمصطفاه ، وهكذا يمكن فهم وتأويل ما ذكره

البوصيري من أن (علم ما كان وما سيكون المثبت في اللوح المحفوظ) بعض من علوم نبينا صلى الله عليه وسلم التي اطلعه الله عليها .

والحاصل ان الشيخ ابن منيع اقام الدنيا واقعدها على السيد المالكي عند نقله ما قاله البوصيري (ص ١٢٦ وغيرها) ولم يتأمل ويتأول بل سارع الى القول بما اخفه عبارة ان خصمه - ولم يكن الا ناقل عبارة - (ضال مضل متنكب عن صراط الله المستقيم) . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

كيف نفهم الآية الكريمة وحديث (خمس لا يعلمهن إلا الله)

نعم قال الله تعالى (**إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير**) فهل في هذه الآية دليل على اختصاص الخمس بمولانا وربنا تبارك وتعالى شأنه وهل هي تدل على الحصر والقصر ؟ أجاب على هذا السؤال والتساؤل أحد العلماء المحققين فقال[1] : (إنه ليس في هذه الآيات دلالة اختصاص فضلاً عن خصوصية الاختصاص .. فإنه تعالى عندما يقول (ينزل الغيث) ويقول (يعلم ما في الأرحام) فمجرد الذكر في مقام الحمد لا يوجب الاختصاص مطلقاً .. فقد مدح الله سبحانه وتعالى نفسه بالسمع والبصر والعلم (بأنه السميع البصير العليم) ووصف بها عباده ايضا (جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) ومن ذلك قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : (**لا يضل ربي ولا ينسى**) والأنبياء أيضاً منزهون عن الضلال (**يا قومي ليس بي ضلالة**) وقال تعالى : (**إن الله لا يظلم مثقال ذرة**) والأنبياء . أيضا مبرؤون عن الظلم (**قال لا ينال عهدي الظالمين**) وفي (إرشاد الساري شرح صحيح البخاري) من تفسير (سورة الرعد) ما نصه : (ذكر خمساً وإن كان الغيب لا يتناهى لأن العدد لا ينفي الزيادة) اهـ .

وذكر البدر العيني في (عمدة القاري شرح صحيح البخاري) ما نصه (قال القرطبي لا مطمع لاحد في هذه الأمور الخمسة لهذا الحديث وقد فسر النبي (صلى الله عليه وسلم) قوله تعالى (**وعنده مفاتح**

---

(١) العلامة الشيخ احمد رضا خان (الدولة المكية)

الغيب) بهذه الخمس ثم قال (فمن ادعى علم شيء منها غير مسند الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كاذبا في دعواه) فانظر كيف قصر (التكذيب) على من لم يسند له صلى الله عليه وسلم .

الله تعالى اطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على علم هذه الخمس

أ ـ اعلامه تعالى له بما في الأرحام

١ ـ فقد أخرج الطبراني في الكبير وابن عساكر عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم ابراهيم (مارية) القبطية وهي حامل منه بابراهيم (فذكر الحديث وفيه : أن جبريل أتاني فبشرني أن في بطنها غلاماً وهو أشبه الخلق بي وأمرني أن أسميه ابراهيم وكناني بأبي ابراهيم) قال الامام السيوطي في الجامع الكبير سنده حسن .

٢ ـ أخرج الخطيب وأبو نعيم في (الدلائل) عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال حدثتني أم الفضل قالت : (مررت بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال إنك حامل بغلام فإذا ولدته فأتيني به قالت : يا رسول الله أنى لي ذلك وقد تحالفت قريش أن لا يأتوا النساء . قال : هو ما أخبرتك قالت . فلما ولدته أتيته فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى وألهاه من ريقه وسماه عبدالله وقال : اذهبي بأبي الخلفاء فأخبرت العباس فأتاه فذكر له فقال :ـ هو ما أخبرتها هذا أبو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدي . فقد علم صلى الله عليه وسلم من علم ربه تعالى ما في الأرحام كما مر في هذين الحديثين .

٣ ـ بل روى الامام مالك رضي الله عنه ـ ورواه الامام البخاري مختصراً ـ عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت : إن أبا بكر رضي الله عنه نحلها جداد عشرين وسقا من ماله بالغابة فلما حضرته الوفاة قال : يا بنيه والله ما من الناس أحد أحب الى غنى منك ولا أعز علي فقرا بعد لي منك وإني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا فلو كنت جددته وأحرزته كان لك وإنما هو اليوم

مال وارث وإنما هو أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله فقالت :ـ يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته إنما هي أسماء فمن الأخرى ؟ فقال :ـ ذو بطن بنت خارجة أراها جارية). ولابن سعد في الطبقات : قال رضي الله عنه (ذات بطن ابنة خارجة قد ألقي في روعي أنها جارية فاستوصي بها خيراً فولدت أم كلثوم).

٤ ـ وقد صح وثبت في أحاديث كثيرة صحيحة أن بالرحم ملكا موكلا يصور الولد ذكراً أو أنثى وحسنا وقبيحا ويكتب أجله ورزقه وشقي أم سعيد . فهو يعلم ما في الرحم ويعلم من الله ما يجري عليه .

ب ـ إعلامه تعالى له بنزول الغيث والمطر

قال الامام السيوطي في (الخصائص الكبرى) ـ باب إخباره صلى الله عليه وسلم عن السحابة التي أمطرت باليمن .

١ ـ أخرج البيهقي عن ابن عباس قال : أصابتنا سحابة فخرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال :ـ إن ملكا موكلا بالسحاب دخل علي آنفا فسلم عليّ وأخبرني أنه يسوق السماء إلى واد باليمن يقال له (ضريح) فجاءنا راكب بعد ذلك فسألناه عن السحابة فأخبر أنهم مطروا في ذلك اليوم .

قال البيهقي وله شاهد مرسل عن بكر بن عبدالله المزني أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا عن ملك السحاب أنه يجيء من بلد كذا وأنهم مطروا يوم كذا وأنه صلى الله عليه وسلم سأله متى تمطر بلدنا ؟ فقال يوم كذا وعنده ناس من المنافقين فحفظوه ثم سألوا عن ذلك فوجدوا تصديقه فآمنوا وذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم (زادكم الله تعالى إيماناً).

٢ ـ وهذا نبي الله يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام يقول لأهل مصر : (تزرعون سبع سنين دأبا) ويقول (يأتي من بعد ذلك سبع شداد) وثم يقول (ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون).

جـ ـ شواهد غيبية أخرى له صلى الله عليه وسلم

٣ ـ وقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم عن ربه أنه وفاته بالمدينة فقد قال للأنصار الكرام (المحيا محياكم والممات مماتكم) رواه مسلم عن أبي هريرة .

٤ ـ وقال لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه الى اليمن (يا معاذ انك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري) رواه الامام أحمد في مسنده .

٥ ـ وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه : (ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مصرع فلان ويضع يده على الأرض ها هنا وها هنا قال فما ماط أي ما زال وما تجاوز أحدهم عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي حديث أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه (والذي بعثه بالحق ما أخطأوا الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم) رواه الامام مسلم (أ.هـ) .

إخبَارُه صَلى الله عليْهِ وسلم بشَيءٍ منَ المغيَّبَاتِ

المعلوم أن اسم النبي مشتق من (النبوة) أو (النبوءة) وهي التنبؤ بالعلم الغيبي الغائب عن غيره من البشر نقلاً عن ربه تعالى الذي زوده بها (حجة له على قومه) .

ومن معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم اطلاعه على المغيبات وإخباره عنها فكان يظهر ذلك كفلق الصبح وقد وصلت أخبارها الينا بالتواتر القطعي الذي لا يقبل الجحود ولا يمكن فيه شيء من الحمحمة ، وتلك الاخبار السعيدة كثيرة لا تعد .

وقد مر بنا منها أنه روُي عن حذيفة رضي الله تعالى عنه أنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقاماً فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلاْ حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه (أي هذا الخبر) اصحابي هؤلاء من الصحابة الحاضرين ، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأعرفه وأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عِنه ثم اذا أراد عرفه .

ثم قال حذيفة ما أدري أنَسيَ أصحابي أم تناسَوهْ ؟

والله ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلاّ قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته ، رواه الشيخان .

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه انه قال : لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما يُحرِّك طائر جناحيه في السماء إلّا ذكَّرنا منه عِلماً (أي أفهمنا من ذلك الطائر أو تحريكه شيئاً من الأحكام إجمالاً أو تفصيلا) رواه احمد بن حنبل والطبراني بسند صحيح وأبو يعلي وابن منيع عن أبي الدرداء وهو عن أبي ذر رضي الله تعالى عنهم .

وفيما أخرجه اهل الصحيح كالشيخين وابن حبان وابن خزيمة والحاكم والإمام مالك والإمام احمد بن حنبل : أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعلم أصحابه أموراً كثيرة من الغيوب ووعد بظهورها ، فأخبر عن ظهورهم وغلبتهم على اعدائهم فظهروا وغلبوا وفق إعلامه وإخباره عليه.من الله أتم الصلاة والسلام كما رواه الشيخان بلفظ تخريجهما .

وأخبر عليه السلام ايضاً عن فتح مكة فوقع فتحها في حياته الشريفة عليه أجل وأزكى السلام ، وهذا معروف عند المفسرين والمحدثين وأصحاب التواريخ ورواه الشيخان ايضاً بلفظهما .

وأخبر عليه الصلاة والسلام ايضاً عن فتح بيت المقدس فوقع الفتح كما أخبر رواه البخاري بلفظه عن عوف بن مالك .

وأخبر عن فتح اليمن والشام والعراق فوقع الفتح في كل منها وفق إخباره عليه من الله السلام كما رواه الشيخان ايضاً بلفظ تخريجهما .

وأخبر عليه الصلاة والسلام ايضاً عن ظهور الأمن حتى تظعن المرأة (أي ترحل وتسير) من الحِيرة بكسر المهملة ومدها (مدينة بقرب الكوفة) إلى مكة لا تخاف إلّا الله رواه البخاري بلفظه .

وأخبر عليه السلام أيضاً بأن المدينة ستغزى (أي ستُحارب وتُقاتل) رواه الشيخان بلفظهما .

وهنا يقتضي التوفيق بين كلام الإمام النووي والإمام التلمساني ، لأن الأول ذهب إلى أن تلك المحاربة تقع قُرب الساعة ، وذهب الثاني إلى انها وقعت في زمن يزيد بن معاوية ، فإنه قد أرسل عسكره من الشام إلى المدينة ، فنهبوها وحاربوا أهلها ، وتلك المحاربة معروفة قد وقعت في الحَرَّة بفتح الحاء المهملة أرض ذات حجارة سود في ظاهر المدينة قُتل فيها كثير من ابناء المهاجرين والانصار وكانت تلك الوقعة في ذي الحجة سنة ثلاث وستين بعد الهجرة وعقيبها هلك يزيد فالتوفيق بين كلاميهما بأن المحاربة التي أخبر عنها النبي عليه الصلاة والسلام مطلقة إذ لم يتعّين زمان وقوعها في إخباره عليه الصلاة والسلام فيمكن وقوع

المحاربة مرتين ، مرة في قرب الساعة كما ذهب اليه الإمام النووي ، ومرة في زمن يزيد بن معاوية على ما ذهب اليه الإمام التلمساني .[١]

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً عن فتح خيبر على يد عليّ رضي الله عنه وكرَّم الله وجهه وعليه السلام في غد يومه كما رواه الشيخان عن سهل بن سعد أنه عليه الصلاة والسلام قال لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفَتح الله على يديه فدعا علياً وكان أرمد فبصق في عينيه فبرأ وفتح الله على يديه .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً عما يفتحه الله على أُمته من الدنيا ويؤتون من زهرتها (أي يعطون من بهجتها ورونقها من كثرة المال وسعة الجاه ويقسمون كنوز كسرى وقيصر) كما رواه الشيخان بلفظهما .

فوقع كل ما ذكر وفق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام عن الغيب بطريق خرق العادة والمعجزة .

وأخبر عليه الصلاة والسلام ايضاً عما يحدث بين أُمته من الفتن والاختلاف والأهواء وسلوك سبيل من قبلهم ، وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة والناجية منها واحدة فظهر صدق إخباره عليه الصلاة والسلام .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً بأن أُمته سيكون لهم أنماط ويغدو أحدهم في حُلة ويروح في أخرى ، ويوضع بين يديه صحفة (أي قصعة طعام) وترفع أخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ، وأنتم اليوم خير منهم يومئذ .

والأنماط بفتح الهمزة جمع نمط وهو نوع فراش ويغشى به الهودج .

وهنا معجزة جليلة فإنه أخبر كما يرى عليه الصلاة والسلام وظهر لنا الذي رآه عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام بعد حين ، فإن الكثير من الأمة المحمدية في الاقطار السائرة يسترون بيوتهم بأنواع الأقمشة ، ويرفعون فوق روازنها وأبوابها الأستار ، ويجعلون الأنماط على الأسِرة المعدة لمنامهم تغشى بها كما يُغشى الهودج ، وقد سرى هذا في الممالك الاسلامية بين أولي الرفاهية من الأجناس المختلفة من العرب والعجم ، فالحمد لله الذي صدق نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ما وعده .

---

(١) طي السجل (السيد محمد مهدي الرفاعي الشهير بالرواس)

واخبر عليه الصلاة والسلام ايضاً بأن أمته اذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم ردّ الله بأسهم بينهم وسلّط شرارهم على خيارهم .

والمطيطاء بضم الميم وفتح طائين مهملتين بينهما ياء ساكنة ، والكلمة ممدودة وهي مشية بالتبختر والخيلاء .

وأخبر عليه الصلاة والسلام ايضاً عن قتال أمته الترك والخزر والروم وعن ذهاب كسرى وفارس وقيصر حتى لا كسرى ولا فارس ولا قيصر بعد ذهابهم رواه الشيخان بلفظ الحديث بدون فارس .

وأخبر عليه الصلاة والسلام عن وقوع شر قريب للعرب حيث قال ويل للعرب من شر قد اقترب . رواه الشيخان عن أم المؤمنين زينب رضي الله تعالى عنها .

وهذا وقع للعرب في شهادة سيدنا عمر وفي فتنة سيدنا عثمان وفي واقعة سيدنا عليّ المرتضى رضي الله تعالى عنهم اجمعين ، وتبع هذا واقعة الإمام الحسين سلام الله ورضوانه عليه ، ولعله استكمل في واقعة التتار وهجومهم على بغداد وإزالة الخلافة الإسلامية ، حتى بقي المسلمون ثلاثة اعوام بلا خليفة والعياذ بالله تعالى له الحكم واليه ترجعون ، وقد ظهر ظهور الشمس الطالعة صدق إخباره عليه من ربه أكمل الصلاة وأتم السلام .

وأخبر عليه الصلاة والسلام عن بلوغ مُلك أمته إلى مشارق الأرض ومغاربها على ما رواه مسلم عن ثوبان أن النبي عليه السلام قال إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ مُلك أمتي ما زوي لي منها .

والمعنى زُويت لي جملة الأرض مرة واحدة وستفتحها أمتي جزءً فجزءً حتى تملك جميع أجزائها ، فبلغ مُلك هذه الأمة إلى مشارق الأرض ومغاربها ولم يمتد مُلك هذه الأمة في الجنوب والشمال مثل امتداده في المشارق والمغرب إذ لم يقتض هذا الحديث ذلك الامتداد ، فظهر ها هنا ايضاً صدق إخباره عليه الصلاة والسلام .

وأخبر عليه أكمل السلام أيضاً عما ينال أهل بيته (أي يصيبهم من المحن) كقصة الحسن والحسين وبقية أهل البيت وتقتيلهم وتشريدهم على ما رواه الحاكم بلفظ الحديث .

وأخبر عليه السلام ايضاً عن نباح كلاب الحوأب على بعض

أزواجه وكان ، فإن عائشة رضي الله تعالى عنها لم توجهت للصلح بين عليّ ومعاوية فلم تقدر على إصلاح ما بينهما فنبحت كلاب الحواب عليها كما رواه احمد بن حنبل والبيهقي بلفظ الحديث فظهر ها هنا أيضاً صدق إخباره عليه السلام .

واخبر عليه الصلاة والسلام عن القتلى الكثيرة حول بعض أزواجه وهي عائشة . وأخبر عن نجاتها كما رواه البزار بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

وقد ذكر بعض أهل الحديث أن القتلى يومئذ حول عائشة صارت مقدار ثلاثين ألفاً من الناس فنجت ونبحت كلاب الحواب عليها .

وأخبر عليه الصلاة والسلام ايضاً عن قتل سيدنا عليّ رضي الله تعالى عنه ، وأخبر عن الأشقى الذي يخضب لحية عليّ بدم رأسه رواه أحمد بن حنبل والطبراني بلفظ الحديث .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً عن مُلك بني أُميّة كما رواه الإمام الترمذي والحاكم عن الحسن بن عليّ رضي الله عنهما وايضاً رواه البيهقي عن سعيد بن المسيب وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً عن خروج بني العباس بن عبد المطلب بالرايات السود وعن ملكهم أضعاف ما ملكوا فظهر صدق إخباره عليه الصلاة والسلام .

وأخبر عليه اكمل السلام عن قتل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، قال يُقتل عثمان وهو يقرأ المصحف وإن الله عسى أن يُلبسه قميصاً وإنهم يريدون خلعه وإنه سيقطر دمه على قوله تعالى (**فسيكفيكهم الله**) فوقع كل ذلك .

وأخبر عليه أتم السلام أيضاً بأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حياً . فلم تظهر الفتن في حياته .

وأخبر بأن عمّاراً تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معاوية .

وأخبر عليه أشرف السلام لجماعة فيهم ابو هريرة وحذيفة وسمرة ابن جندب بأن آخركم موتاً في النار فكان بعضهم يسأل عن بعض فكان سمرة أخرهم موتاً هرم وضعف حتى أصابه ضرر في بدنه وخلل في عقله فاصطلى بالنار ، فاحترق فيها . فظهر أيضاً صدق إخباره عليه الصلاة والسلام .

وأخبر عليه أجلّ السلام بأنه يكون في ثقيف كذاب ومبُير . فظهر في قبيلة ثقيف المختار بن عبيد كذاباً ، والحجاج كليب بن يوسف مبُيراً (أي مهلكاً قتّالاً ظالما).

وأخبر عليه السلام بأن مُسَيْلمة الكذاب يعقره الله (أي يقتله) فقتل في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه .

وأخبر عليه أجزل السلام بأن فاطمة بنته عليه السلام أول اهله لحوقاً به . فكان الأمر كذلك ، فإنها لحقته بالموت بعد ستة أشهر ولم يسبق موتها أحد من أهله .

وأخبر عليه الصلاة والسلام ايضاً بأن الخلافة بعدي ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً (أي سلطنة) فكانت .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً بشأن أُويس القرني فظهر شأنه وفق ما أخبر به عليه السلام .

وأخبر عليه الصلاة والسلام في غزوة المصطلق بموت منافق في المدينة حين هاجت الريح فلما رجعوا إلى المدينة وجدوا الأمر كذلك .

وأخبر عليه الصلاة والسلام لقوم من جلسائه بأن ضرس أحدكم في النار أعظم من أحد . قال أبو هريرة فذهب القوم (يعني ماتوا) وبقيت أنا ورجل وارتدّ فقتل مرتداً يوم اليمامة العياذ بالله تعالى .

وأخبر عليه الصلاة والسلام بالرجل الذي غلّ خرزاً من خرز يهود فوُجد الخرز في رحله .

وأخبر عليه الصلاة والسلام بالرجل الذي غلَّ الشملة وأخبر بمكانها فوُجِدت تلك الشملة حيث أخبر به عليه السلام .

وأخبر عليه الصلاة والسلام ايضاً بمكان ناقته التي ضلّت وغابت ، وأخبر كيف تعلّقت بالشجرة بخطامها فوجدوها على وفق ما أخبر عليه السلام .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضاً بقضية عمير مع صفوان ، وهي أنه كان صفوان يقول في خلوته سراً يا عمير إن قتلت محمداً فأنا أعطيك شيئاً كثيراً فلما جاء عمير إلى النبي عليه السلام قاصداً لقتله أخبره بجميع ما جرى بينه وبين صفوان من الاسرار التي وقعت بينهما فأسلم في حضوره الكريم عليه من الله أكمل السلام .

وأخبر عليه الصلاة والسلام بالمال الذي تركه عمه العباس عند أُم الفضل بعد أن كتمه فقال العباس ما علمه غيري وغيرها فأسلم . رواه احمد بن حنبل والحاكم والبيهقي بلفظ تخريجهم .

وأخبر عليه الصلاة والسلام بأنه سيقتُل بيده الشريفة أُبي بن خلف فكان الأمر كذلك (أي قتلة النبي عليه أجلّ السلام بيده الشريفة).

وأخبر عليه الصلاة والسلام عن مَصارع كفار قريش في غزوة بدر بقوله عليه السلام هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان أي مقتله فذكر عليه الصلاة والسلام المقتولين بأسمائهم ومواضع قتلهم قبل الوقوع ، فوقع قتل كل منهم في الموضع الذي أخبر به عليه الصلاة والسلام .

وأخبر عليه أتم السلام عن واقعة الإمام الحسن بن الإمام علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما ، فقال عليه الصلاة والسلام إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين رواه الشيخان فظهر .

وأخبر عليه أكمل السلام ايضاً عن تأخير الموت عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه حين مرض بمكة ، فقال في حال مرضه يا رسول الله أأُخَلَّفُ عن اصحابي ؟ فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلك تُخلّف حتى ينتفع بك أقوام (أي من الأبرار) ويستضر بك آخرون (أي من الفجار) رواه الشيخان بلفظ تخريجهما ، فأخّر عنه الموت مثل ما أخبر عليه الصلاة والسلام .

وأخبر عليه الصلاة والسلام عن موت أمراء المسلمين في غزوة مؤتة يوم موتهم بأسمائهم وهو عليه أعم السلام في المدينة وهم قتلوا في مؤتة بينها وبين المدينة مسافة شهر تقريباً ، لأن مؤتة بلدة من بلاد الشام في آخر حوران ، فقال عليه السلام في المدينة يوم ماتوا أخذ الراية زيد ابن حارثة فأصيب ، ثم جعفر بن ابي طالب فأُصيب ، ثم عبدالله بن رواحة فأُصيب ، ثم خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح الله على يديه رواه الشيخان . قوله من غير إمرة (أي بلا ولاية ولا إمارة يومئذ).

وأخبر عليه أكمل السلام عن موت النجاشي يوم مات بأرض الحبشة وبينها وبين المدينة مسيرة شهر تقريباً رواه الشيخان بلفظ تخريجهما .

وأخبر عليه الصلاة والسلام عن موت كسرى يوم مات وهو عليه أتم السلام في المدينة وكسرى في العراق وبينهما مسيرة اربعين يوماً تقريباً رواه البيهقي بلفظ تخريجه .

وأخبر عليه الصلاة والسلام عن لبس سُراقة بن مالك سِواري كسرى فقال عليه السلام له كيف بك إذا لبست سِواري كسرى ؟ رواه

البيهقي وقد جيء بسِواري كسرى إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في زمن خلافته فألبسهما سُراقة بن مالك فقال الحمد لله الذي سلبهما عن كسرى وألبسهما سُراقة ، وفي إلْباس عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه سِوَاري كسرى لسراقة إيذان منه إلى كمال شرف الإيمان بحيث إن واحداً من بدو العرب يستحق بسبب إيمانه لبس ما يلبسه ملوك العجم للإفتخار به .

وأخبر عليه الصلاة والسلام ايضاً عن عيش أبي ذر رضي الله تعالى عنه فريداً في آخر عمره ، وعن موته فريداً بفلاة من الأرض وحضور عصابة (أي جماعة) على جنازته ، فوقع كل ذلك وهذا مضمون حديث رواه احمد بن حنبل والبيهقي وابن راهوية وابن أبي أسامة .

وأخبر عليه الصلاة والسلام بأن عضواً من زيد بن صوحان يسبقه إلى الجنة ، فقطعت يده في الجهاد رواه البيهقي .

وأخبر عليه الصلاة والسلام بأن أسرع أزواجه لحوقاً (أي وصولا اليه) بعد موته أطولهن يداً فكانت زينب بنت جحش أسرعهن لحوقاً به عليه الصلاة والسلام لطول يدها بالصدقة رواه مسلم بلفظ تخريجه .

وأخبر عليه الصلاة والسلام ايضاً عن قتل سيدنا الحسين بن سيدنا علي ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنهما بالطّف ، وأخرج عليه السلام بيده تربة (أي قبضة من التراب) وقال فيها مضجعه (أي مقتله أو مدفنه) رواه البيهقي ، ولفظ حديثه أن جبريل كان عند النبي عليه السلام فدخل حسين رضي الله تعالى عنه فقال جبريل من هذا ؟ يعني استخبر عنه لبيان أمرٍ سيكون لا لعدم علمه فقال عليه السلام إبني ، فقال جبريل ستقتله أُمتك وإن شئت أخبرتك بالارض التي يُقتل فيها فأشار جبريل بيده إلى الطف من العراق فأخذ تربة حمراء فأراه إياها ، فسبحان الذي أظهر لرسوله المكرم اسرار مُلكه ، وعجائب جبروته ، وصرّفه في عوالم ملكوته ، وجعله أعظم آياته ، وسيد مخلوقاته .

وقَد عَدّ أُناس من أهل العلم الوسيع بالأخبار النبوية للحضرة المحمدية الفريدة السعيدة اكثر من ستة آلاف معجزة)ا.هـ [١] .

---

(١) طي السجل (السيد محمد مهدي الرفاعي الشهير بالرواس)

خلاصة ومختصر (الرسول صلى الله عليه وسلم وعلم الغيب)

قال تعالى : (**قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله**) وقال حكاية عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (ولا اعلم الغيب) وقال ايضا (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير). اننا نعتقد إعتقادا جازما لا شك فيه ولا ريب أن علم الغيب يختص بالله تعالى وما وقع منه على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره فمن الله تعالى إما بوحي أو إلهام . فكل ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من الإنباء بالغيوب ليس إلا من إعلام الله له به للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته صلى الله عليه وسلم وقد اشتهر وانتشر أمره صلى الله عليه وسلم بالإطلاع على الغيب حتى كان يقول بعضهم لبعض : (أسكت فو الله لو لم يكن عندنا من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء).

وروى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله قد رفع لي الدنيا فأنا أنظر اليها والى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأني انظر إلى كفي هذه) . قال عبدالله بن رواحة رضي الله عنه :

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات أن ما قال واقع

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه :-

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله في كل مشهد
فان قال في يوم مقالة غائب * فتصديقها في ضحوة اليوم أو غد

واخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (كنا نتقي الكلام والانبساط إلى نسائنا مخافة أن ينزل فينا شيء فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم تكلمنا).

وأخرج البيهقي عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : تالله لقد كان أحدنا يكف عن الشيء مع امرأته وهو وإياها في ثوب

واحد تخوفا أن ينزل فيهم شيء من القرآن) ومعجزات هذا الباب لا يمكن استقصاؤها لكثرتها ووقعها منه صلى الله عليه وسلم في اكثر حالاته عن سؤال وغير سؤال لمناسبات كانت تقتضيها وهي اكثر انواع معجزاته صلى الله عليه وسلم عددا .

قال القاضي عياض في الشفاء : (وعلمه الغيب صلى الله عليه وسلم من جملة معجزاته المعلومة على طريق القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها) ا . هـ .

وروى الامام احمد والطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه قال : (تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه إلا ذكر لنا منه علما) .

وروى مسلم عن عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه قال :ـ

قال (صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فاخبرنا بما هو كائن إلى يوم القيامة فأعلمنا أحفظنا).

وروى البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال : (قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا بكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه وقد علمه أصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء قد نسيته فاراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه).

وروى مسلم عن حذيفة أيضا قال : (أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فما منه شيء إلا وقد سألته عنه إلا أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة).

وروى أبو داود عن حذيفة أيضا قال : (والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته).

واخرج أبو يعلي بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه قال :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان فخطب الناس فقال : (لا تسألوني عن شيء اليوم إلا أخبرتكم به) ونحن نرى أن جبريل معه فقال عمر : (يا رسول الله إنا كنا حديثي عهد بجاهلية فلا تبد علينا سوآتنا فاعف عنا عفا الله عنك).

وأخرج أبو يعلي بسند لا بأس به عن ابن عمر رضي الله عنهما . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يزال هذا الحي من قريش آمنين حتى يردوهم عن دينهم كفارا) فقام اليه رجل فقال يا رسول الله أفي الجنة أنا أم في النار ؟ قال : في الجنة . ثم قام اليه آخر فقال : أفي الجنة أنا أم في النار ؟ قال في النار . ثم قال : (اسكتوا عني ما سكتّ عنكم فلولا أن لا تدافنوا لأخبرتكم بملأ من أهل النار حتى تعرفوهم ولو أمرت ان أفعل لفعلت).

مفاتح الغيب والخمس في قوله تعالى (إن الله عنده علم الساعة)

قال الله تعالى : (**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو**) .

قال القرطبي في تفسيره : فالله تعالى عنده علم الغيب ، وبيده الطرق الموصّلة إليه لا يملكها إلا هو ، فمن شاء اطلاعه عليها اطلعه ، ومن شاء حجبه عنها حجبه ، ولا يكون ذلك من إفاضة إلا على رسله بدليل قوله تعالى : (**وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء**) وقوله تعالى (**عالم الغيب فلا يظهر على غيبة أحدا إلا من ارتضى من رسول**) .

قال علماؤنا : أضاف سبحانه عالم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه إلا من اصطفى من عباده .

وقد قال بعض العلماء ان الله سبحانه وتعالى اطلع نبيه على هذه الخمس أيضا وأنه لم يخرج من هذه الدنيا حتى عرفها كما نقل ذلك الحافظ السيوطي إذ قال : (ذهب بعضهم إلى انه صلى الله عليه وسلم : أوتي علم الخمس أيضا وعلم وقت الساعة والروح وأنه أمر بكتم ذلك). (الخصائص الكبرى ج ٣/ص ١٦٠)

وكذلك أيضا قال الشيخ ابراهيم الباجوري في حاشيته على البردة ص ٨١ .

وكذلك أيضا قال الشيخ أحمد بن محمد الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين . قال ما نصه :

والحق انه لم يخرج نبينا من الدنيا حتى اطلعه على تلك الخمس ولكنه أمر بكتمها (ج ٣ ص ٢٤٤).

وذكر الامام فخر الدين الرازي في تفسيره كلاما محصله أن نفي العلم بهذه الامور الخمسة عن غير الله سبحانه وتعالى ليس مقصودا ولا وجه لاختصاص هذه الاشياء بالذكر لأن هذا جاء في سياق خاص لاثبات معنى خاص (تفسير الرازي ٢٥/ ١٦٤).

وفصّل هذا المعنى الامام العلامة محمود الالوسي في (روح المعاني) (٢١/ ١١٢) بقوله : والذي ينبغي أن يعلم أن كل غيب لا يعلمه إلا الله عز وجل وليس المغيبات محصورة بهذه الخمس وانما خصت بالذكر لوقوع السؤال عنها أو لأنها كثيرا ما تشتاق النفوس الى العلم بها ، وقال القسطلاني : ذكر صلى الله عليه وسلم خمسا وان كان الغيب ـ لا يتناهى لأن العدد لا ينفي زائدا عليه ولأن هذه الخمسة هي التي كانوا يدعون علمها . اهـ .

وفي شرح المناوي الكبير للجامع الصغير في الكلام على حديث بريدة : خمس لا يعلمهن إلا الله أي على وجه الاحاطة والشمول كليا وجزئيا فلا ينافيه اطلاع الله تعالى بعض خواصه على بعض المغيبات حتى من هذه الخمس لأنها جزئيات معدودة . وانكار المعتزلة لذلك مكابرة . اهـ .

وذكر القسطلاني أنه عز وجل إذا أمر بالغيث وسوقه إلى ما شاء من الاماكن علمته الملائكة الموكلون به ومن شاء سبحانه من خلفه عز وجل . وكذلا إذا أراد تبارك وتعالى خلق شخص في رحم يعلم سبحانه الملك الموكل بالرحم بما يريد جل وعلا كما يدل عليه ما أخرجه البخاري عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى وكل بالرحم ملكا يقول : يارب نطفة يارب علقة يارب مضغة فاذا أراد الله تعالى أن يقضي خلقه قال : أذكر أم أنثى شقي أم سعيد فما الرزق والأجل ؟ فيكتب في بطن أمه فحينئذ يعلم بذلك الملك ومن شاء الله تعالى من خلقه عز وجل » وهذا لا ينافي الاختصاص والاستئثار بعلم المذكورات بناء ان المراد بالعلم الذي استأثر سبحانه به العلم الكامل بأحوال كل على التفصيل فما يعلم به الملك ويطلع عليه بعض الخواص يجوز أن يكون دون ذلك العلم بل هو كذلك في الواقع بلا شبهة ، وقد يقال فيما يحصل للأولياء من العلم بشيء مما ذكر انه ليس بعلم يقيني .

وقد نقل العسقلاني في فتح الباري (ج ١ ص ١٢٣) عن القرطبي

أنه قال من ادعى علم شيء من الخمس غير مسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كاذبا في دعواه .

(الساعة)

قال الشيخ الآلوسي : ويجوز ان يكون الله تعالى قد اطلع حبيبه عليه الصلاة والسلام على وقت قيامها على وجه كامل لكن لا على وجه يحاكي علمه تعالى به إلا انه سبحانه أوجب عليه صلى الله عليه وسلم كتمه لحكمة ويكون ذلك من خواصه عليه الصلاة والسلام وليس عندي ما يفيد الجزم بذلك .

(الروح)

قال الله تعالى : **(يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)** .

قال الحافظ في الفتح ، قال بعضهم : ليس في الآية دلالة على أن الله لم يطلع نبيه على حقيقة الروح ، بل يحتمل أن يكون أطلعه ولم يأمره أنه يطلعهم وقد قالوا في علم الساعة نحو هذا .

(فتح الباري شرح صحيح البخاري في كتاب التفسير ج ٨/ص ٤٠٣)

(وكذا إرشاد الساري شرح البخاري ج ٧ ص ٢١٣).

وعليه فلا مانع من القول بأن الله تعالى اطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على حقيقة الروح واذا كان بعض علماء السلف تكلم عن الروح مما يدل على أن مع القائل علما أو بعض علم عنها فكيف به هو صلى الله عليه وسلم . فهذه كتب التفاسير تنقل عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب وقتادة والسهيلي أقوالا متعددة في الروح ، فقيل الروح جبريل وقيل ملك عظيم وقيل ملائكة على صور بني آدم وقيل ملائكة لكن لا تراهم الملائكة .

(انظر ابن كثير ج ٣ ص ٦١ وغيره من التفاسير)

فهل هؤلاء العلماء تكلموا في الروح بما تستحيل معرفته على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟؟

ومن هنا نقل الامام الحافظ جلال الدين السيوطي (في الخصائص الكبرى ج ٣ ص ١٦٠) ان الله سبحانه وتعالى اطلع نبيه على حقيقة الروح .

وبهذا ظهر أن القائل بأن الله تعالى اطلع نبيه حتى على هذه الخمس معه دليل مستنبط أو شبهة دليل فان كان ذلك الدليل صحيحا وموصلا إلى المطلوب فيوصف القائل بأنه مصيب وإن كان ذلك الدليل فاسدا لا يتوصل به إلى المطلوب فغاية ما يوصف به قائله بأنه مخطىء ولا يصل به الحال إلى الكفر والعياذ بالله .

ورضي الله عن الامام الشافعي فإنه قال : (إن الله لا يعذب على فعل اختلف فيه العلماء) .

« الفصل الرابع »

مكانة ورفعة قدر سيِّدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إن أول من يجوز الصراط بأمته ويشرفِّه بنظرته ، وينورّه للمؤمنين ليسيروا في ضيائه وعلى محجَّته ـ هو سيدنا محمد إمام الانبياء والمرسلين صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين الذي جمع الله تعالى له فضائل الأوليات الجامعة لأكمل المراتب وأعلى الدرجات !

فهو صلى الله عليه وسلم أول الأنبياء في الخلق في عالم الأرواح وآخرهم في البعث في عالم الاشباح .

والدليل على أن أوَّل الأرواح البشرية خلقاً هو روح السيِّد الأعظم صلى الله عليه وسلم أنه أخبر على ذلك بقوله : « كنت أول الناس في الخَلقْ وآخرهم في البعث » رواه ابن سعد مرسلا بإسناد صحيح ؛ ورواه أبو نعيم وابن أبي حاتم في تفسيره وابن لال والديلمي كلُّهم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : « كنتُ أول النبيين في الخَلْق وآخرهم في البعث » . وهذه الرواية تفسِّر رواية ابن سعد وأن المراد من الناس الأنبياء ، فهو صلى الله عليه وسلم أوَّلهم في عالَم الأرواح وخاتمهم في عالم الأشباح صلى الله عليه وسلم ، وقد نبَّأه الله تعالى في عالَم الأرواح قبل الأنبياء كلِّهم . فبه فُتحتْ النبوة في عالم الأرواح وبه خُتمتْ في عالم الأشباح صلى الله عليه وسلم . فهو الفاتح وهو الخاتم .

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا : يا رسول الله ، متى وجَبَتْ لك النبوة ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد . وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب ورواه أبو نعيم والبيهقي والحاكم وصحَّحه ، ورواه البزار والطبراني وأبو نعيم أيضاً من رواية ابن عباس رضي الله عنهما .

وعن ميسرة الفجر قال : قلت : يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال : « كنتُ نبياً وآدم بين الروح والجسد » رواه الإمام أحمد والبخاري في التاريخ والطبراني والحاكم وصححه وقال الحافظ الهيثمي في رجال أحمد والطبراني : رجالهما رجال الصحيح . اهـ .

وهو صلى الله عليه وسلم أوّل من تنشق عنه الأرض كما روى مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأنا أول من ينشقّ عنه القبر ، وأنا أول شافع وأول مشفع » .

وهو صلى الله عليه وسلم أول شافع وأول مشفَّع :

روى الترمذي وغيره عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبيٍّ يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشقّ عنه الأرض ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر » . قال الزرقاني عنه حسن صحيح وكذا رواه أحمد وابن ماجة .

وهو صلى الله عليه وسلم ـ أوّلُ مَن نبَّأه الله تعالى في عالم الأرواح قبل الأنبياء كلهم كما جاء في سنن الترمذي وغيرها أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له يا رسول الله متى وجبت لك النبوة ، وفي رواية متى استنبئت ، وفي رواية متى كنت نبياً ، فقال صلى الله عليه وسلم : « كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد » .

وهو صلى الله عليه وسلم أول من يؤذن له حين يستأذن على ربه وهو أول من يسجد لربه .

روى الامام أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أنا أول مَنْ يؤذن له يوم القيامة بالسجود وأول من يرفع رأسه فأنظر بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم ومن خلفي مثل ذلك وعن يميني مثل ذلك وعن شمالي مثل ذلك ـ فقال رجل . يا رسول الله : كيف تعرف أمتك من بين الأمم فقال صلى الله عليه وسلم : هم غرٌ مُحَجَّلون من أثر الوضوء ليس أحد كذلك غيرهم وأعرفهم أنهم يؤتَوْن كتبهم بأيمانهم وأعرفهم تسعى ذريتهم بين أيديهم »[1] الحديث .

وهو صلى الله عليه وسلم أول من يُفتح له باب الجنَة وهو أول من يدخلها والكلُّ يدخلونها من ورائه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) قال الحافظ المنذري : رواه احمد وفي إسناده ابن لهيعة وهو حديث حسن في المتابعات . اهـ . وقال في مجمع الزوائد : رواه احمد والبزار باختصار إلا انه قال : وذراريهم نور بين ايديهم . قال : ورجال احمد رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو ضعيف قد وثق . اهـ . قلت ورواه ابن ابي حاتم ومحمد بن نصر المرزوي كما في تفسير الحافظ ابن كثير سورة الحديد وسورة التحريم .

روى مسلم والترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آتي باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن : مَنْ ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمِرتُ أن لا أفتح لأحد قبلك » .

تعظيمه صلوات الله عليه عند ذكر اسمه الشريف

كتب فضيلة الأخ الشيخ محمد سليمان فرج رسالة بعنوان (دلائل المحبة وتعظيم المقام في الصلاة والسلام على سيد الانام) جاء فيها ان ذكر لفظ السيادة عند ذكر اسمه الشريف امر واجب على كل مسلم محب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن ذلك من رفعة ذكره وتعظيم قدره وقد امر الله تعالى المؤمنين ان يعلوا قدره ويوقروا شأنه ولا ينادوه باسمه الشريف مجردا من التكريم والتبجيل قال الله تعالى :

« **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا** » . سورة النور .

قال الصاوي في تفسيره : لا تجعلوا دعاء الرسول اي نداءه بمعنى لا تنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ولا بكنيته فتقولوا يا ابا القاسم بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم والتوقير ونستفيد من الآية انه لا يجوز نداء النبي صلى الله عليه وسلم بغير ما يفيد التعظيم لا في حياته ولا بعد وفاته فبهذا يعلم ان من استخف بجنابه صلى الله عليه وآله وسلم فهو كافر معلون في الدنيا والآخرة .

وروى ابن جرير عن قتادة في هذه الآية الشريفة ان الله امرهم ان يفخموه ، ويشرفوه .

وقال السيوطي في الاكليل في استنباط التنزيل عند ذكر هذه الآية الكريمة : تحريم ندائه باسمه بل يقال يا رسول الله يا نبي الله والظاهر استمرار ذلك بعد وفاته .

وجاء في فتح الباري شرح صحيح البخاري : انه صلى الله عليه وسلم وان كان ذا اسماء وكنى لكن لا ينبغي ان ينادي بشيء من تلك فيحرم نداؤه بها لقوله تعالى (**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا**) مثل يا محمد ويا أحمد ويؤيده قول الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا يقولون يا احمد يا أبا القاسم فنهاهم

الله عزوجل اعظاما لنبيه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا نبي الله يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وقد اتفق أئمة الاسلام وفقهاء المذاهب ونصوا على تحريم ندائه صلى الله عليه وسلم باسمه اخذا من هذه الآية الشريفة .

وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير لذلك المعنى قال الله تعالى :

« **فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون** » فهذا الثناء بالفلاح من الله تعالى للذين يعزرونه اي يعظمونه ويبجلونه بكل ما يرفع قدره ويعبر عن شرف مكانته العالية وان ذكر اسمه الشريف مجردا من لفظ السيادة لا يتفق مع التعظيم اللائق بجنابه الكريم وقال الله تعالى ايضا :

« **لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه** » سورة الفتح .

وقرىء وتعززوه من التعزيز والتقدير ادبا وتخلقا بأخلاق القرآن حيث ناداه الله تعالى بقوله : « **يا ايها النبي** » و « **يا ايها الرسول** » ولم يوجه له النداء باسمه صلوات الله وسلامه عليه وبين انه سبحانه رفع ذكره بين العالمين .

قال الله تعالى : « **ورفعنا لك ذكرك** » سورة الانشراح .

استحقاقه للسيادة صلى الله عليه وسلم :

ورفعة الذكر تكون بألفاظ التعظيم وألقاب التكريم ومنها السيادة التي جرى العرف بها بين الناس وبذلك نكون مأمورين بها عند ذكره ومنهيين عن ضدها وهو ذكر الاسم الشريف مجردا عنها لانه بدونها غير مرفوع .

وان ذكر السيادة يجب من باب سد الذرائع حتى لا يتوصل به الملاحدة الى اهانته وقد نص الامام الشافعي رضي الله عنه على كراهة قول المرء قال الرسول ـ بالألف واللام ـ وان الاولى والمستحب والمرغوب هو ان يقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاضافة التي هي غاية التشريف ونهاية الفخر والتعظيم لأن في اللفظ المقطوع عن هذه الاضافة ايهاما للنقص لاحتمال ان يراد به رسول غير الله تعالى فيتوصل به الملاحدة والزنادقة الى ذكره بغير الرسالة يوهمون انهم يقصدون رسول الله تعالى . والواقع انهم يقصدون غير ذلك . فسدا لهذه الذريعة مع ما فيه من سوء الادب بعدم ذكره بالاضافة المشرفة رأى الامام الشافعي

ذلك وان ذكر اسمه الشريف صلوات الله وسلامه عليه مجردا عن السيادة هو اليوم في عرفنا مثل ذلك بل اشد . ولذلك ترى المستشرقين وممن لا خلاق لهم هم الذين يذكرون الاسم الشريف مجردا .

وعلى ذلك فلا يجوز ذكره عليه الصلاة والسلام من غير السيادة للتشبه بالكفار واتباعهم في اهوائهم لأنهم يذكرون النبي صلى الله عليه وسلم باسمه مجردا على سبيل الاستهانة به قال الله تعالى :

« **وخضتم كالذي خاضوا اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك هم الخاسرون** » سورة التوبة .

وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث ابي سعيد بن المعلي قال : كنت اصلي بالمسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله : اني كنت اصلي فقال عليه الصلاة والسلام : « الم يقل الله تعالى « **استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم** ..» سورة الأنفال .

فاذا كانت اجابته مفروضة علينا ونحن بين يدي الله تعالى وما ذلك الا مراعاة للادب معه صلى الله عليه وسلم ومراعاة حرمته فذكره بالسيادة مطلوب من باب اولى ، وقد قال بعض المفسرين عند قوله تعالى : « **وقولوا للناس حسنا** » المراد بالناس رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالحسن الحَسَن كما قرىء به ومن الحَسَن الذي نقوله للناس سيدي ومولاي فثبت من الآية الكريمة مطلوبية قول ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الاولى .

وأما ما يتعلل به الذين لم يتذوقوا قطرة من صافي شراب محبته صلوات الله وسلامه عليه على عدم اطلاق السيادة له صلى الله عليه وسلم فهو الحديث الشريف « السيد الله ..» وقد اجاب عنه العارف بالله ابن عجيبة في حاشيته على الجامع الصغير بان الحديث يبين ان الله هو الذي يحق له السيادة المطلقة اذ الخلق كلهم عبيده وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله لما خوطب بما يخاطب به رؤساء القبائل من قولهم انت سيدنا ومولانا وكانوا قريبي عهد بالاسلام واراد الرسول صلى الله عليه وسلم ان يمكن العقيدة في نفوسهم بأن الخضوع التام للمالك الحقيقي وهو الله سبحانه . وقد نقل عن الامام مالك رضي الله عنه امتناع اطلاق السيد على الله الا اذا اريد بيان هذا المعنى الذي قصده صلى الله عليه وسلم ، ومما لا شك فيه ان هذه الشبهة ليس فيها اي احتمال للاستدلال

على عدم اطلاق السيادة لأن الله تعالى مدح سيدنا يحيى عليه السلام بقوله سبحانه :

« **وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين** » سورة آل عمران .

فان ثبت لسيدنا يحيى كان لسيدنا رسول الله صلى الله عليه من باب اولى وكنا مأمورين بطريق الاشارة الواضحة بل ان القرآن الكريم عبر عن لفظ السيد في غير ذلك الموضع في حق من لا يملكون الرفعة .

قال تعالى : « **وألفيا سيدها لدى الباب** » سورة يوسف « **انا اطعنا سادتنا ، وكبراءنا** » سورة الاحزاب . وكذلك لفظ المولى قال تعالى : « **يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا** » سورة الدخان .

وكذلك تواترت السنة النبوية الشريفة في هذا المضمار وجاءت الاحاديث الكثيرة التي تطلق لفظ السيد على غير الله تعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كل بني آدم سيد والرجل سيد اهله والمرأة سيدة بيتها » قال الذهبي رواته ثقات وكذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« وليقل المملوك سيدي وسيدتي فانهم المملوكون والرب الله عز وجل » وفي رواية ابي داود ايضا : « وليقل سيدي ومولاي » فاذا كان هذا بالنسبة للعبد مع سيده فكيف لا يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق الله العظيم : « **فانها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور** » سورة الحج .

وقد جاء في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقول للعبد يوم القيامة : « **الم اكرمك واسودك** » اي اجعلك سيدا فهذا الامتنان من الله تعالى بنعمة السيادة يدلنا على انها شرف للانسان فكيف لا نشرف بها افضل الخلق عليه الصلاة والسلام .

وبذلك يتجلى لنا ان من يقول ان السيادة لا تطلق الا على الله سبحانه وتعالى فقط فلا يعتد بقوله لأنه مخالف لمنهج القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية الشريفة .

وكذلك ايضا ما يظنه بعض الناس حديثا نبويا وهو قولهم لا تسيدوني في الصلاة فهو لا يصح نسبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لحن فاحش وخطأ لغوي لا تجوز نسبته لافصح من نطق بالضاد صلوات الله وسلامه عليه ، لأن الفعل سيد لم يرد في لغة العرب وانما

سود ولذلك ادرك بعض الناس هذا المعنى فقالوا ان الحديث بلفظ لا تسودوني في الصلاة ولكن هذا ايضا اشد البطلان وكذب وافتراء على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اورده كثير من المحدثين في الموضوعات التي وضعت كذبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئل عنه الامام جلال الدين السيوطي فأجاب بأنه لم يرد وانه باطل كما نص على ذلك في الحاوي للسيوطي وقال الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة انه لا اصل له وكذلك الامام جلال الدين المحلي والشمس الرملي وابن حجر الهيثمي وبعض فقهاء الشافعية والمالكية ونص عليه القاري في موضوعاته على بطلانه وكذلك قولهم لا تعظموني في المسجد فأنه باطل ايضا وقد جاء في كتاب كشف الخفا للحافظ العجلوني ما نصه : « قال في المقاصد - اي السخاوي - لا اصل له وقال الياجي في اوائل مولده المسمى بكنز العفاة فكذب مولد مفتري جـ ٢ ص ٤٩٤ بل انه لو فرضنا مجرد احتمال وروده - مع ان هذا بعيد اشد البعد - ومع ان الدليل اذا تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال فانه يمكن تأويله بما يناسب المقام كما اول العلماء حديث : « السيد الله .. » لأن التزام الادب معه صلى الله عليه وسلم مقدم على امتثال الاوامر كما فعل سيدنا ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما جاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه يؤم الناس فتأخر ابو بكر فأمره ان يثبت مكانه فلم يمتثل ثم سأله بعد الفراغ من الصلاة عن ذلك فأبدى له انه انما فعل ذلك تأدبا معه صلى الله عليه وسلم قائلا : ما كان ينبغي لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك وكذلك التزام سيدنا علي بن ابي طالب الادب دون امتثال الامر حين كتب الكتاب للمصالحة في الحديبية وكان فيه لفظ رسول الله فقال سهيل : والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبدالله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني رسول الله وان كذبتموني امحه - اي لفظ رسول الله - فقال سيدنا علي : والله لا امحوه ومحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة ولم ينكر على الامام علي حسن ادبه قال العلماء المحققون وهذا من الادب المستحب فكذلك زيادة لفظ السيد عند ذكر اسمائه صلى الله عليه وسلم من الادب المستحب .

ومن التزام الادب ايضا ان سيدنا عثمان ابن عفان رضي الله عنه

اخر الطواف لما دخل مكة في قضية صلح الحديبية مع علمه بوجوبه على من دخلها ادبا معه صلى الله عليه وآله وسلم ان يطوف قبله وقال : ما كنت لافعل حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد علمه بذلك .

وبذلك تكون هذه الشبهة واهية لا اساس لها من الصحة وعلى فرض احتمال ورودها فانه يجب التزام الادب عند ذكر سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد جاء في صحيح البخاري ومسلم قوله صلوات الله وسلامه عليه :

« انا سيد ولد آدم ولا فخر » .

والسيد هو الذي يسود على قومه اي يتقدم عليهم بما فيه من خصال الكمال والشرف التام وقيل هو الكامل الذي يحتاج اليه غيره وقال ابن عباس رضي الله عنهما : السيد الكريم على ربه عز وجل وقال قتادة : السيد الذي لا يغلبه غضبه وفي رواية للامام احمد وابن ماجة والترمذي قوله عليه الصلاة والسلام :

« انا سيد ولد آدم يوم القيامة » .

وفي رواية اخرى « انا سيد الناس يوم القيامة » للامام احمد والبخاري ومسلم ، وذلك شامل لسيدنا آدم عليه السلام لقوله صلى الله عليه وسلم :

« أدم فمن دونه من الانبياء يوم القيامة تحت لوائي » .

بل ان هناك رواية صريحة في ذلك المعنى وهي قوله صلى الله عليه وسلم :

« انا سيد العالمين » وفي رواية ابي نعيم في الدلائل قول سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم : « انا سيد المؤمنين اذا بعثوا » .

ومما رواه الخطيب قوله صلى الله عليه وسلم : « انا امام المسلمين وسيد المتقين » فهذه الاحاديث الصحيحة التي بلغت حد التواتر وانه صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم وسيد المؤمنين وسيد العالمين تدل دلالة لا لبس فيها على ان لفظ السيادة واجب على كل مسلم محب لرسول الله عليه الصلاة والسلام .

وان هناك حديثا صريحا في طلب لفظ السيادة من المؤمنين رواه الحاكم في المستدرك بسند صحيح فعن جابر بن عبدالله قال : صعد

رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال من انا ؟ قلنا رسول الله قال : نعم ولكن من أنا ؟ قلنا : محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف قال : « انا سيد ولد أدم ولا فخر ..

فهذا الحديث الشريف يوضح لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب من اصحابه ان يجيبوه بلفظ السيادة الذي يبين فضله على سائر العالمين من المرسلين وغيرهم وكذلك لفظ المولى ورد في الحديث الصحيح الذي رواه الامام احمد في مسنده والترمذي والنسائي وابن ماجة قال صلى الله عليه وسلم : « من كنت مولاه فعلي مولاه » فرسول الله هو سيدنا ومولانا صلى الله عليه وسلم بنص الاحاديث الصحيحة المقطوع بها وكذلك الصحابة الاجلاء وآل بيته الكرام الاطهار هم سادتنا فقد روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسيدة فاطمة رضي الله عنها : « يا فاطمة الا ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنات او سيدة نساء هذه الامة » وفي صحيح مسلم : « يا فاطمة اما ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين او سيدة نساء هذه الامة » .

وفي رواية ابن سعد في الطبقات : « اما ترضين ان تكوني سيدة نساء هذه الامة او نساء العالمين » فيجب علينا ان نذكر سيدتنا ومولاتنا فاطمة بلفظ السيادة عند ذكرها دائما وكذلك سيدنا ومولانا الحسن فقد روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عندما رأى السيد الحسن : « ان ابني هذا سيد » وايضا سيدنا ومولانا الحسين فقد اخرج الترمذي بسند صحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة » .

وكذلك ورد في حق سيدنا ومولانا ابي بكر الصديق رضي الله عنه وسيدنا ومولانا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما رواه ابن ماجة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ابو بكر وعمر سيدا كهول اهل الجنة من الاولين والآخرين الا النبيين والمرسلين » . بل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم علم اصحابه ذلك المعنى بأجلى وضوح فقد روى البخاري ومسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه .

ان اهل قريظة لما نزلوا على حكم سعد بن معاذ ارسل اليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء على حمار فقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« قوموا الى سيدكم او الى خيركم » .
فهل بعد هذا البيان النبوي الكريم حجة لمن لا يطلق لفظ السيادة على سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ومع ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى اصحابه عن القيام له وكره ذلك ولكنه امر بالقيام لسعد رضي الله عنه فيجب ان ندرك ذلك المعنى الذي اراده رسول الله صلى الله عليه ونبه اصحابه له ووصف به سعد بن معاذ وان الادب الاسلامي الكريم يدعو المؤمن للادب مع والده واستاذه بأن لا ينادي الابن اباه ومعلمه باسمه فقد ذكر الامام النووي في كتابه ـ الاذكار ـ في باب نهي الولد والمتعلم والتلميذ ان ينادي اباه ومعلمه وشيخه باسمه ، ما رواه ابن السني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا ومعه غلام فقال : يا غلام من هذا ؟ قال : ابي قال : « فلا تمش امامه ولا تستسبه ولا تجلس قبله ولا تدعه بأسمه » .
فاذا كانت هذه اخلاق الاسلام في معاملة اصحاب الفضل والعلم فكيف تكون المعاملة مع احب الخلق الى الله تعالى وهو الاب الحقيقي للمؤمنين قال الله تعالى :
« **النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم** » سورة الاحزاب .
وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما : « النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم » وبذلك يظهر لكل من له قلب او القي السمع وهو شهيد ان ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسمه مجردا ينافي التعظيم المطلوب لجنابه العالي ومقامه الرفيع واما ما يقوله بعض الناس بانه لم يرد عن الصحابة ذكر لفظ السيادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو ناشىء عن جهل مطبق وقصور محقق وهوى متبع فقد روى الامام احمد في مسنده عن سهل بن حنيف يقول : مررنا بسيل فدخلت فاغتسلت منه فخرجت محموما فنمى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
« مروا ابا ثابت فليتعوذ » قلت يا سيدي والرقي الصالحة قال :
« لا رقية الا في نفس او حمة او لدغة » .
فهذا الحديث الشريف صريح اشد الصراحة في قول سهل بن حنيف لسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم : يا سيدي وقد رواه النسائي ايضا بسند قوي وكذلك ما قاله ابن مسعود رضي الله عنه : « اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة

عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين ..» .

وكان الصحابة ينادون بعضهم بعضا بهذا اللفظ الذي يشعر بالتكريم والاجلال فقد روى الحاكم في المستدرك بسند صحيح ان ابا هريرة رضي الله عنه لما رد السلام على سيدنا ومولانا الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : وعليك السلام يا سيدي ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه سيد .

وما قاله الفاروق رضي الله عنه : ابو بكر سيدنا واعتق سيدنا ـ اي سيدنا ومولانا بلال رضي الله عنه .

وكتب السيرة النبوية مليئة بهذا المعنى فمن أعماه التعصب المقوت واتباع الآراء الضالة فلا نلتفت اليه ولا نعيره اي اهتمام لأنه محروم من محبته صلى الله عليه وسلم .

فهذه الدلائل الساطعة والبراهين الدامغة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا تدع مجالا للشك في اطلاق السيادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بل وللمؤمنين غير الفاسقين فقد اخرج البخاري في الادب المفرد وابو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « لا تقولوا للمنافق سيدا فانه ان يك سيدكم فقد اسخطتم ربكم عز وجل » وان النهي عن قوله للمنافق دليل على جوازه للمؤمن .

وان السيادة تتفاوت مراتبها بحسب تفاضل الاعمال الصالحة والمنزلة عند الله تعالي فقد روى الحاكم بسند صحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب ورجل قام الى امام جائر فأمره ونهاه فقتله » .

فهذه السيادة لسيدنا حمزة رضي الله عنه بالنسبة للشهداء وهكذا نجد كل سيادة مقيدة بعمل معين او زمن معين ولكن السيادة الكاملة التامة لا تكون الا لسيد الخلائق جميعا ورحمة الكائنات كلها صوات الله وسلامه عليه .

وقد قال الحافظ العراقي في ألفيته في السيرة النبوية :

ولا يحل الرفع فوق صوته * ولا ينادي باسمه بل نعته

وقال ابن ذكرى في همزيته :

لحرمة قدركم حرمت دعوتكم * باسمكم وذم النداء

وقال ابن عطاء الله في كتاب مفتاح الفلاح في كلامه عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : واياك ان تترك لفظ السيادة ففيها سر يظهر لمن لازم هذه العبادة .

وقال ابو العباس البوني في آداب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : ومنها اذ امر في صلاته عليه صلى الله عليه وسلم على اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في بعض الكيفيات مجردا عن السيادة فليردد لفظ السيادة بلسانه فقط فذلك هو الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم واما الكتابة فانها تابعة للرواية من غير زيادة ولا نقصان اتفق الصالحون على ذلك في القرن الثالث ووافقهم العلماء المجتهدون وقالوا يختص النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لقوله صلى الله عليه وسلم كما ورد في الصحيحين : « انا سيد ولد آدم » .

وقال الامام محمد بن جعفر الكتاني في جواب له في هذه المسألة : ان ذكر الاسم الشريف بالسيادة ونحوها مما يدل على التعظيم والتشريف امر متفق على طلبه واستحبابه في الجملة امتثالا لقول الله تعالى : « **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا** » وقوله جل شأنه : « **لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه** » .

وقد نقل كلام ابن حجر من الدر المنضود ثم قال وفي عمدة المريد للشيخ ابراهيم اللقاني على الجوهرة له في التوحيد قال استاذنا : ولا خلاف في استعمال السيد فيه عليه الصلاة والسلام وانما الخلاف في استعماله في الصلاة فكرهه قوم واجازه آخرون .

واما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بالصيغ الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المحققون يزاد فيها لفظ السيادة سواء في الصلاة او خارجها مستدلين بعمل سيدنا ابي بكر الصديق حيث تأخر عن المحراب مع قول النبي صلى الله عليه وسلم له مكانك وامتناع سيدنا علي بن ابي طالب عن محو اسمه من الصحيفة لأن الالتزام الادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى من امتثال الامر .

واجابوا عن الاعتراض القائل بانه يجب الا يزاد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يزاد في القرآن الكريم بانه لا تصح التسوية بين القرآن والحديث في هذا المعنى لامور منها : ان رواية الحديث تجوز فيها الحكاية بالمعنى للعارف بالالفاظ ومدلولاتها كما هو مذهب جمهور المحدثين ولا يجوز ذلك في القرآن قطعا .

ومنها ان الرواية يجوز فيها الادراج بتفسير غريب الحديث كما هو منصوص عليه لغير واحد وفعله ابن شهاب الزهري ولا يجوز في القرآن .

واما الحديث الشريف : « من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد » اي ما ليس من امره وما لم يسنه ولم يشهد الشرع باعتباره واما ما شهد الشرع باعتبار اصله فهو جائز شرعا وهو من امره كالبدع المستحسنة كالاجتماع على قيام رمضان ، وذكر الصحابة في الخطبة وذلك لأن القربة اذا شهد الشرع باعتبار جنسها فهي مشروعة ، وان لم يرد لها دليل خاص كما هو مقرر في قواعد الفقه واصوله ، وذكر السيادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قربة قد شهد الشرع باعتبار جنسها وهو توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه فضلا عن النصوص الصريحة التي ذكرت قبل ذلك بل ان ما اختلف في مشروعيته ففعله اولى كما نص عليه الامام العز بن ابن عبدالسلام ورجحه القرافي كما ذكره المواق في كتاب (سنن المهتدين).

صيغ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم

المعلوم أن الصلاة على الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم وردت مروية بصيغ كثيرة مختلفة مأثورة كما نقل عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم صيغ كثيرة اجتهدوا فيها بمزيد الثناء واستمطار صلاة الله تعالى ورحمته وبركاته على خير خلقه صلى الله عليه وسلم . مما يدل على جواز تعدد هذه الصيغ وعدم التقيد بالمأثور . ةقد ورد في كتاب (نور الاسلام) للشيخ عبد الكريم المدرس رواية عن سلامة الكندي : كان علي رضي الله تعالى عنه يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم داحي المدحوات وبارىء المسموكات ، اجعل شرائف صلواتك ، ونواحي بركاتك ، ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق ، والخاتم لما سبق ، والمعلن الحق بالحق ، والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل ، فأضطلع بأمرك لطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ أمرك ، حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل بأهله اسبابه ، به هديت القلوب بعد خوضات

الفتن والاثم ، وابهج موضحات الاعلام ، ونائرات الاحكام ، ومنيرات الاسلام ، فهو أمينك المأمون ، وخازن علمك المخزون ، وشهيدك يوم الدين ، وبعيثك نعمة ، ورسولك بالحق رحمة ، اللهم افسح له في عدنك ، واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنئات له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول ، وجزيل عطائك المعلول ، اللهم أعل على بناء الناس بناءه ، واكرم مثواه لديك ونزله ، وأتمم له نوره وأجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ، ومرضي المقالة ، ذا منطق عدل ، وخطة فصل وبرهان عظيم) .

وعنه أيضا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ان الله وملائكته يصلون على النبي ، لبيك اللهم وسعديك ، صلوات الله البر الرحيم ، والملائكة المقربين ، والنبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، وما سبح لك من شيء يارب العالمين عى محمد بن عبدالله خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، وامام المتقين ، ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام) .

وعن عبدالله بن مسعود (اللهم اجعل صلواتك ، وبركاتك ، ورحمتك على سيد المرسلين ، وامام المتقين ، وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة ، اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) .

وكان الحسن البصري يقول من أراد ان يشرب بالكأس الاوفى من حوض المصطفى فليقل : (اللهم صل على محمد وعلى آله واصحابه وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته واصهاره وانصاره وأشياعه ومحبيه وأمته وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين) .

وعن طاوس عن ابن عباس انه كان يقول : (اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى ، وأرفع درجته العليا ، وآته سؤله في الآخرة والأولى كما آتيت ابراهيم وموسى) . وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعائه : (اللهم أعط محمدا أفضل ما سألك لنفسه ، واعط محمدا أفضل ما سألك له أحد من خلقك ، واعط محمدا أفضل ما أنت مسؤول له الى يوم القيامة) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يقول : (اذا صليتم على

النبي صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه (رواه اسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي) .

عودة الى أدلة تسويده صلى الله عليه وسلم

وفي كتاب (المهمات) أن الإمام العز بن عبد السلام سئل ايضا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هل الافضل ذكر السيادة فاجاب بان سلوك الادب هو المستحب كما فعل سيدنا ابو بكر عندما كان في المحراب وتأخر اجلالا لمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما فعل سيدنا علي عندما امتنع عن محو لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فاذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليه وقال : « قولوا اللهم صل على محمد ..» وجب علينا ان نقول اللهم صلي على سيدنا محمد وقد افتى امام الحرمين من فقهاء الشافعية بذكر لفظ السيادة في التشهد في كل صلاة .

وسئل ايضا الامام جلال الدين المحلي عن قوله صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتموني أصلي » وكيف يصح ان نخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزيد لفظ السيادة فأجاب بان هناك قاعدتين امتثال الامر والتزام الادب والارجح التزام الادب وبهذا افتى الامام عز الدين بن عبدالسلام وجماعة من فقهاء الشافعية وابن عبدالسلام من فقهاء المالكية .

وقد نص كثير من الفقهاء بان من قال باسقاط لفظ السيادة من اسمه الشريف يؤدب الادب الشديد كما ذكره العلمي في نوازله ولذلك افتى الامام ابن عبدالسلام في قضية الطالب الذي قال لا يزاد في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ذكر سيدنا بأن يؤدب وامر بسجنه فاختفى حتى شفع فيه فخلي سبيله كما جاء في كتاب اكمال الاكمال او صاحب المعيار .

وروى عن الامام مالك ـ كما في كتاب بدائع الفوائد ـ لما سئل عن السيادة انه قال : كيف وهو صلى الله عليه وسلم قال عن الحسن ان ابني هذا سيد وقال للانصار لما اقبل سعد بن معاذ : قوموا لسيدكم فهو سيد السادة وخير البشر . صلوات الله وسلامه عليه .

وقال الشيخ علي الشبراملسي في حاشيته على شرح الشمس الرملي على المنهاج في فقه الشافعية عند قوله والافضل الاتيان بلفظ السيادة كما قاله ابن ظهيرة والمحلى ، وهو يقتضي العموم في جميع المواضع التي يذكر فيها اسمه عليه الصلاة والسلام وان الادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذكره في حياته وبعد مماته وقد ناظر الامام مالك ابا جعفر المنصور ـ الخليفة العباسي ـ وقال له : ان حرمته صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا .

وذكر التقى السبكي في (كتاب تنزيل السكينة على قنادل المدينة) ان سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان يمنع رفع الصوت في المسجد النبوي الشريف ولم يكن يفعل ذلك في المسجد الحرام وما ذاك الا للادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها تسمع الوتد يوتد والمسمار يضرب في البيوت القريبة فتقول : لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم امرنا ان نكرم من تسمى باسمه الشريف فقد روى الحافظ السيوطي في الجامع الصغير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا سميتم الولد محمدا فأكرموه ، واوسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجها » .

وكذلك روى الحاكم والبزار روايات اخرى باسانيد قوية .

فاذا كان الامر النبوي الكريم باكرام من تسمى باسمه فما بالك بصاحب الاسم ونبي الرحمة وشفيع الخلق وحبيب الحق صلوات الله وسلامه عليه .

« الفصل الخامس »

شبهات تتعلق بقدرة الشريف صلى الله عليه وسلم

صلاة الفاتح

قد مر بنا في مبحث صيغ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم قول سيدنا الامام علي بن ابي طالب في الصيغة المأثورة عنه (اجعل شرائف صلواتك ونواحي بركاتك ، ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ، والمعلن الحق بالحق والدافع لجيشات الأباطيل).

وفي الصفحة (١٩) من حواره تهجم الشيخ ابن منيع على شرح السيد العلوي (لصلاة الفاتح) كما كرر تهجمه عليها في نهاية الصفحة (٢٩) وسماها (صلاة الفاتح المغلق) معتبراً إياها من الشركيات والمكفرات والمنكرات والضلالات التي اقترفها السيد العلوي .. فهل يتجاهل الشيخ ابن منيع أو فلعله يجهل أنه صلى الله عليه وآله وسلم أول الأنبياء في الخلق في عالم الأرواح وآخرهم في البعث في عالم الأشباح فهو (الفاتح المغلق) كما تهكم . (والفاتح الخاتم) كما يسميه أحبابه وجمهور أمته لما جاء في سنن الترمذي وغيرها أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له (يا رسول الله متى وجبت لك النبوة ، وفي رواية متى استنبئت ، وفي رواية متى كنت نبيا ، فقال صلى الله عليه وسلم : (كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد).

ولعله لم يطلع على نسبتها لسيدنا علي أو لعله من الذين لا يرون الأخذ (بعمل الصحابي) ولا يعتبرونه حجة .. وعلى كل حال فقد ذكر الشيخ يوسف النبهاني هذه الصيغة في كتابه (افضل الصلوات) ص ١٣٧ كاملة كما يلي :

(اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والناصر الحق بالحق والهادي الى صراطك المستقيم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه حق قدره ومقداره العظيم) وللسادة التيجانية الصوفية تعلق خاص بهذه الصيغة وهي جزء هام من أورادهم

المشهورة ، وقد نسبها الشيخ النبهاني للشيخ محمد شمس الدين البكري الذي يرجع نسبه لجده الخليفة الأول سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال إنه وجدها في (كتاب مسالك الحنفا في الصلاة على النبي المصطفى) للشهاب القسطلاني ومكتوب قبلها هذه العبارة (هذه أنفاس رحمانية وعوارف صمدانية لقطب دائرة الوجود وبدر أساتذة الشهود تاج العارفين سيدنا وأستاذنا ومولانا الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري روح الله روحهما ونور ضريحهما وأعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاتهما في الدنيا والآخرة . آمين) ا . هـ ص ١٤١ من (أفضل الصلوات) وقد تهجم ابن منيع على الشيخ البكري في صفحة ٨١ من حواره .

فماذا يقول الشيخ ابن منيع في قول القسطلاني[١] ... هل تغير الاسلام أم تغير القسطلاني أم تغير (فهم) ابن منيع والرئاسة لمعايير الاسلام والمسلمين ؟ وقديما قيل (من قال هلك الناس فهو أهلكم) .

كل شيء به منوط

جاء في الصلاة المعروفة بالصلاة المشيشية قوله : في حق النبي صلى الله عليه وسلم (ولا شيء إلا وهو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط) وقد أشكلت هذه الجملة على بعض الناس كما فعل الشيخ ابن منيع في (حواره ـ صفحة ١٧ منه) وفهم منها أمورا غير مقصودة ولا مرادة ولا يتصور أبدا أن تقع في ذهن مسلم يؤمن بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك جل جلاله وعظم شأنه ولو تدبرت معنى هذه الجملة لسهل عليك الخطب وهان عليك الامر وعلمت أن المسألة لم تخرج عن دائرة التوحيد . لأن معناها أن حقائق الأشياء التي لا يتم الوصول إلى الله إلا بها لا تقبل ولا تعتبر إلا اذا جاءت من طريق المشرّع وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقد قرر العلماء واتفقوا على أن أي عمل لا يكون مقبولا إلا إذا كان صوابا مع الإخلاص ولا يكون صوابا إلا إذا كان على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما قال صلى الله عليه وسلم : (كل عمل ليس عليه أمرنا فهو ردّ) . رواه مسلم .

فاذا كانت الأعمال جميعها لا تصح إلا إذا جاءت من طريقه ورضي عنها فهل هناك شيء له قيمة أو اعتبار أعلى من هذا ، والنبي صلى الله

عليه وسلم يقول « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه ، وعالما ومتعلما » رواه الترمذي وابن ماجة والبيهقي ، وقال الترمذي : حديث حسن .

فذكر الله لا يصح إلا إذا كان عن طريقه فهو منوط به والعلم لا يصح إلا عن طريقه فهو منوط به فصار كل شيء به منوط .

وأما قوله : (إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط) فان العاقل لو تدبر معناها بامعان لعلم أنها تدل على حقيقة من حقائق التوحيد التي لم يختلف فيها أحد من المسلمين والتي هي أصل الشريعة التي من أجلها أنزلت الكتب وأرسلت الرسل .

فالواسطة هم الرسل والموسوط هم الأمم ولولاهم لهلكنا وضللنا وسقطنا وهذا معنى قوله (لذهب) اي لتلف وهو معنى قوله تعالى (**وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقدكم منها**) وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (أنا أخذ بحجزكم عن النار وأنتم تغلبوني تقحمون فيها) رواه البخاري .

تنحل به العقد وتنفرج به الكرب

(اللهم صل صلاة كاملة وسلم سلاما تاما على سيدنا محمد الذي تنحل به العقد وتنفرج به الكرب وتقضي به الحوائج وتنال به الرغائب وحسن الخواتم ويستسقي الغمام بوجهه الكريم وعلى اله وصحبه في كل لمحة ونفس بعدد كل معلوم لك).

هذه الصيغة من الصيغ المشهورة عند الناس قديما وحديثا وهي مجربة لقضاء كثير من المقاصد وتحقيق المطالب ، وقد أشكل على بعضهم وصفه صلى الله عليه وسلم بأنه تنحل به العقد وتنفرج به الكرب من حيث ان الكرب إنما تنفرج بالله فهو الذي يفرج الهم ويكشف الغم وكذلك قضاء الحوائج ، وأقلَ الناس علما يعرف جواب هذه المشكلة .. وهو أن قضاء الحوائج وتفريج الكربات إنما هو بالله سبحانه وتعالى فهو الفاعل حقيقة لا يشك في ذلك إلّا كافر أو جاهل ، ونسبة هذه الأفعال للنبي صلى الله عليه وسلم انما هي نسبة مجازية . وهذا أمر ظاهر لا إشكال فيه جرت عليه عادة عامة الناس بل وجها لتهم ، مع علمهم بهذه الحقيقة وإقرارهم بهذا الواقع مع اليقين الكامل والاعتقاد الجازم . فان الواحد منا يقول فلان فرج كربتي ، وفلان أقال عثرتي ، وفلان أزال

محنتي وقضى حاجتي ، ولا يخطر في بال أجهل واحد من هؤلاء ، أدنى اعتقاد يفيد استقلال الفاعل بفعل هذه الأمور دون الله ، فإذا كنا نجيز أمثال هذه التعبيرات والإطلاقات في عامة كلامنا وتعاملنا مع البشر فلم لا يجوز ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره من الأولياء والصالحين ؟ وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يستعينون به ويستغيثون ويطلبون منه الشفاعة ويشكون حالهم إليه من الفقر والمرض والبلاء والدين والعجز وهؤلاء الصحابة الكرام يفزعون إليه صلى الله عليه وسلم عند الشدائد ويطلبون منه ويسألونه

فهذا أعمى يطلب رد بصره

وهذا قتادة يطلب رد عينه

وهؤلاء يطلبون الغيث

وهذا حسان بن ثابت يقول له أنت يا رسول الله ركن المعتمدين وأنت عصمة اللائذين وجار المستجيرين وملاذ القاصدين في قصيدته المشهورة :-

يا ركن معتمد وعصمة لائذ ومـلاذ منتجع وجار مجاور
يا من تخيره الإله لحقه فحباه بالخلق الزكيّ الطاهر

وقد جاء في الاحاديث النبوية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة تفيد أن الله سبحانه وتعالى يدفع العذاب عن أهل الأرض بالمستغفرين وعمّار المساجد وان الله يرزق بهم أهل الأرض وينصرهم ويصرف عنهم البلاء والغرق . وأن من عباد الله من يرزق الله تعالى به الكون ويحفظ به الأرض ويمطر به الناس وأنهم أمان وحصن يفزع الناس إليهم في حوائجهم ويطلبون منهم المعروف والإحسان لأنهم أهل الاحسان .. كل هذا مع العلم الكامل ان الرزق والنصر والمطر والدفع والرفع والضر والنفع بيد الله سبحانه وتعالى .

روى البيهقي في الشعب عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى يقول : **إني لأهمّ بأهل الأرض عذابا فإذا نظرت إلى عمّار بيوتي والمتحابين فيّ والمستغفرين بالأسحار صرفت عذابي عنهم**)

وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين مرة ،

كان من الذين يستجاب لهم ويرزق بهم أهل الأرض) رواه الطبراني وهو حسن . كذا في الجامع .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لن تخلو الأرض من أربعين رجلا مثل خليل الرحمن ، فبهم تسقون ، وبهم تنصرون ، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر .)
(رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن . كذا في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٦٢).

فهل جهل ذلك الشيخ ابن منيع ؟
قبل أن يبادر للتكفير والتشريك !

كذلك من المعلوم أن أوَّل الأرواح البشرية خلقاً هو روح السيِّد الأعظم صلى الله عليه وسلم كما أخبر عن ذلك بقوله : « كنت أول الناس في الخلق وآخرهم في البعث » رواه ابن سعد مرسلا بإسناد صحيح ؛ ورواه أبو نعيم وابن أبي حاتم في تفسيره وابن لال والديلمي كلُّهم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : « كنتُ أول النبيين في الخَلْق وآخرهم في البعث » . وهذه الرواية تفسِّر رواية ابن سعد وأن المراد من الناس الأنبياء ، فهو صلى الله عليه وسلم أوَّلهم في عالَم الأرواح وخاتمهم في عالم الأشباح صلى الله عليه وسلم ، وقد نبَّأه الله تعالى في عالَم الأرواح قبل الأنبياء كلِّهم ، فبه فُتحت النبوة في عالم الأرواح وبه خُتمتْ في عالم الأشباح صلى الله عليه وسلم . فهو الفاتح وهو الخاتم .

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قالوا : يا رسول الله ، متى وجَبَتْ لك النبوة ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد » وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب ورواه أبو نعيم والبيهقي والحاكم وصحّحه ، ورواه البزار والطبراني أبو نعيم أيضاً من رواية ابن عباس رضي الله عنهما .

وعن ميسرة الفجر قال : قلت : يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال : « كنتُ نبياً وآدم بين الروح والجسد » رواه الإمام أحمد والبخاري في التاريخ والطبراني والحاكم وصححه وقال الحافظ الهيثمي في رجال أحد والطبراني : رجالهما رجال الصحيح . اهـ .

(الوحدة والتوحيد)

مرت بنا أنفاصيغة الصلاة المروية عن سيدنا علي ومن بعده رضي الله تعالى عنه ، اجتهد ولده وحفيده شيخ الاسلام عبد السلام بن بشيش (من البشاشة وهي طلاقة الوجه) ابن منصور بن ابراهيم الحسني ثم الادريسي من ولد سيدنا ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن سيدنا الحسن السبط بن سيدنا علي بن أبي طالب كرّم الله تعالى وجهه فنظم صيغة جديدة ضمنها قوله : (اللهم اقذف بي على الباطل فأدمغه ، وزج بي في بحار الأحدية ، وانشلني من أوحال التوحيد) فتسارع سوء الظن والظن السيء إلى النفوس التي همها الانتقاد لا حسن الاعتقاد ، فلم تتأن في طلب المعنى والتأويل ، بل سارعت ، كشأنها دائماً ـ إلى التبديع والتكفير والتضليل ، وإذا كنا نرجح رأي الامام السيد أحمد الرفاعي عندما قال في كتابه الشهير (البرهان المؤيد) معلقاً على بعض النصوص التي يلزمها التأويل : (إياكم والقول ببعض هذه الأقاويل ، حسن الظن يلزمنا بسيدنا الشيخ ، ولكن أدبنا مع الدين ألزم) ص ٨٥ . إلا أننا نذكر ـ المشايخ والعلماء ـ بقوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم**) وقول النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : (التمس لأخيك سبعين عذراً) فنقول لشرح معنى هذه العبارة التي التبست عليهم (وزج بي في بحار الأحدية ، وانشلني من أوحال التوحيد) : إن (التوحيد) لغة الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد و (التوحيد) شرعاً افراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفات وأفعالاً ، و (التوحيد) في اصطلاح أهل الحقيقة من الصوفية : تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام ويخيل في الأذهان والأوهام وقد هاجم ابن منيع هذه العبارة في صفحة (١٧) من حواره .

والمعروف أن الله تعالى أوضح لنا في سورة (الاخلاص) أنه (أحد) أي لا أحد قبله ولا أحد معه ولا أحد بعده ولا أحد مثله (ولم يكن له كفواً أحد) . وصاحب الورد والدعاء يسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقه حقيقة التحقق بمعرفة كمال وجمال وجلال (الأحدية) وهي التوحيد وفي الوقت نفسه يسأله تعالى أن يحفظه ويحميه وينقذه من مخاطر وشطحات الإغراق والاستغراق والمغالاة في شهود آثار أحدية

ذاته ووحدانيته تعالى (كالقول بالوحدة والاتحاد) وغيره مما هلك فيه من هلك أو ضل من ضل وشطح من شطح لذلك قال الامام السيد أحمد الرفاعي في كتابه الشهير (البرهان المؤيد) : (التوحيد وجدان تعظيم في القلب يمنع من التعطيل والتشبيه) . فصاحب الورد والدعاء اذن يستعيذ بالله تعالى من أن يتيه في (أوحال) التائهين والشاطحين والمنحرفين في (التوحيد) إذ كما قال الامام الرفاعي في (البرهان) :

(ما ثم اتصال ولا انفصال ، ولا حلول ولا انتقال ، ولا حركة ولا زوال ، ولا ممارسة ولا مجاورة ، ولا محاذاة ولا مقابلة ، ولا مماثلة ولا مجانسة ولا مشاكلة ، ولا تجسد ولا تصور ولا انفعال ، ولا تكون ولا تغير) وكما ذكر في كتابه المذكور رضي الله عنه أنه (سأل رجل الإمام مالكاً بن أنس رضي الله عنه عن قوله تعالى (**الرحمن على العرش استوى**) فقال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا مبتدعاً ، وأمر به أن يخرج . وقال إمامنا الشافعي رضي الله عنه لما سئل عن ذلك : آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل ، واتهمت نفسي في الإدراك ، وأمسكت عن الخوض فيه كل الامساك . وقال الامام أبو حنيفة رضي الله عنه : من قال لا أعرف الله في السماء هو أم في الأرض فقد كفر .. لأن هذا القول يوهم أن للحق تعالى مكاناً ، ومن توهم أن للحق مكاناً فهو مشبه . وسئل الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن الاستواء فقال : استوى كما أخبر ، لا كما يخطر للبشر . وقال الامام بن الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر رضي الله عنهما : من زعم أن الله في شيء ، أو من شيء ، أو على شيء ، فقد أشرك إذ لو كان على شيء لكان محمولا ، ولو كان في شيء لكان محصوراً ، ولو كان من شيء لكان محدثاً) ا . هـ .



« الفصل السادس »

التبرك ليس شركاً ولا بدعة

شجرة بيعة الرضوان

في الصفحة (٢٣) من حواره أخذ الشيخ ابن منيع على الشيخ السيد المالكي (رأيه في أن شجرة بيعة الرضوان لم يقطعها عمر إلا لأن الناس اختلفوا في تعيينها فقطعها لئلا تنسب لبيعة الرضوان والحال أنها ليست كذلك).

سبب قطع شجرة البيعة

ولا بد هنا من ملاحظة ان قطع عمر لشجرة البيعة ونحوه : انما كان لمنع الشرك الذي كان لا يزال متمكنا أو قريبا من النفوس ، ولم يكن أبدا لمنع التبرك وفرق هائل بين الاشراك والتبرك الذي هو من تأكيد الايمان بالله وقدرته ، وهو من أدلة استمرار آثار العمل الصالح ، وهذه الفعلة من عمر كانت مجرد اجتهاد في حكم سد الذريعة ، فليس هو بشريعة نبوية حاسمة ومن العجب أن هؤلاء الذين يستشهدون بفعل عمر هنا ، هم الذين يخالفون فعل عمر بصلاة التراويح عشرين ، ويصلونها ثمانية ، فليس الأمر هنا دينا وانما هو شهوة المخالفة .

قصد المعالم المباركة

وقصد الأماكن والمعالم المباركة التي يرجى فيها استجابة الدعاء والتوسل ، كالمساجد ، والأضرحة ، شرع منصوص ، وقد بينت كتب الحديث في ابواب الدعاء ان هناك أمكنة وازمنة يكون الدعاء فيها ارجى من غيرها ، لقداستها وطهارتها ونزاهتها عن الدنس والخطيئة ، كما حدث في ليلة الاسراء لسيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث ـ وهو في طريقه الى المسجد الاقصى ـ نزل عن براقه ، فصلى في عدة أمكنة معينة ، في كتب الحديث والسيرة ، ومنها : طور سيناء ، ومولد عيسى ، ثم ان في مشاهد الحج واختيار أماكن معينة فيه للدعاء والتعبد ونحوه ، اكبر دليل على ذلك ، ويؤيده حديث شد الرحال الى المساجد الثلاثة ،

فقصد الاماكن والمعالم المباركة للزيارة والدعاء عمل مندوب اليه . وقد صح عن عمر رضي الله عنه قوله : (لو كان مسجد قباء في كذا لذهبنا اليه).

التبرك بآثار الصالحين

والتبرك بآثار الصالحين جائز ، وقد نقل الحافظ العراقي في (فتح المتعال) بسنده أن الامام أحمد بن حنبل أجاز تقبيل قبر النبي صلى الله عليه وسلم وغيره تبركا ، قال : وعندما رأى ذلك الشيخ ابن تيمية عجب ، قال : وأي عجب في ذلك ، وقد روينا أن الامام أحمد تبرك بالشرب من ماء غسل قميص الامام الشافعي ، بل قد روى ابن تيمية نفسه تبرك أحمد بآثار الشافعي .

وفي (الحكايات المنثورة) للامام المحدث الحافظ الضياء المقدسي أن الحافظ عبدالغني المقدسي الحنبلي أصيب بدمل أعجزه علاجه ، فمسح به قبر الامام أحمد بن حنبل تبركا ، فبرىء .

وفي تاريخ الخطيب : ان الامام الشافعي كان يتبرك بزيارة قبر الامام أبي حنيفة مدة اقامته بالعراق ، كما صح عنه أنه كان يتبرك بغسالة قميص الامام أحمد ، فكان يأخذ منها ما يمسح به وجهه وأعضاءه ، كما ذكره أصحاب (الطبقات) وغيرهم .

وفي صحيح السيرة : انه كان مع خالد بن الوليد شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم يتبرك بها ، وما شهد بها مشهدا الا نصره الله كما رواه البيهقي وابو يعلي وآخرون .

وفي صحيح مسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجة ، عن اسماء بنت أبي بكر انها اخرجت جبة طيالسية ، وقالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ، فنحن نغسلها للمرضي فتستشفى بها .

وفي طبقات ابن سعد عن ابن قسيط والعتبي : (كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا المسجد جسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم (اي) تبركا وتوسلا ثم استقبلوا القبلة يدعون).

وروى ابن سعد كذلك عن عبدالرحمن بن عبدالقادر ، أنه رأى ابن عمر رضي الله عنه واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ، ثم وضعها على وجهه (أي تبركا ..) كما روى عنه أنه كان

يضع يده على رمانة المنبر مكان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمسح بها وجهه .

كذلك ثبت أن بلالا مرغ خديه على عتبات الحجرة النبوية باكيا بين يدي الصحابة رضي الله عنهم يوم عاد من الشام الى المدينة ، ثم لم يرد أن احدا من الصحابة أنكر عليه ، ولا على فاطمة فيما ورد عنها من التبرك بتربة القبر الشريف .

ولعل الأصل : ثبوت تبرك المسلمين بشعر النبي ووضوئه وسؤره وملابسه وبردته واقراره صلى الله عليه وسلم لذلك .

تبرك السلفي الأول الصديق والسلفي الثاني الفاروق به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته

ولا شك أن من أبرز الدلائل الدالة على مشروعية وندب واستحباب التبرك به صلى الله عليه وسلم وبآثاره الشريفة بعد وفاته فضلاً عن حياته ما فعله الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه فانه طلب عند وفاته أن يدفن بجوار النبي صلى الله عليه وسلم - بل عند قدميه الشريفين . وكذلك طلب وألح الخليفة الثاني عمر الفاروق رضي الله عنه ، فإنه كما ورد في صحيح البخاري استأذن أمنا عائشة رضي الله عنها مرتين بعد أن طعن أن يدفن بجوار المصطفى صلى الله عليه وسلم.فمرة أرسل ابنه عبدالله قائلاً لها يستأذنك أمير المؤمنين عمر ثم قال له : إذا أنا مت فاذهبوا بجنازتي إلى بيت عائشة وقفوا بي على الباب ثم قولوا : يستأذن عمر فإني عندها لم أعد أمير المؤمنين فإن أذنت وإلا فادفنوني في مقابر المسلمين .. فهل يدلنا المخالفون النافون للتبرك والتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته عن سر اصرار هذين الطودين الشامخين من أطواد الاسلام والخليفتين الراشدين اللذين قال عنهما الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم : (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر) رواه الامام أحمد والترمذي وابن ماجة والبخاري في تاريخه والحاكم في مستدركه عن حذيفة بن اليمان وحديث العرباض بن سارية : (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ) رواه

الامام أحمد وأهل السنن وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه .. فهل يجوز بعد بيان ما سلف أن نتهم بالشرك ونضرب بالعصا وننظر شزراً وحنقاً إلى من يريد أن يتبرك باي آثار من آثار النبي صلى الله عليه وسلم سواء في مسجده الشريف ومنبره ومحرابه وشباك قبره المنيف أم في خارجه .. (**يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً**) ..

« الفصل السابع »

التوسل

هذا وأود أن أنقل فيما يلي رأي أهل السنة والجماعة المستند إلى الأدلة الشرعية المحكمة في موضوع التوسل فأقول وبالله التوفيق نقلاً عن كتاب (قضايا الوسيلة) للشيخ محمد زكي ابراهيم :

أنواع التوسل :

من حيث أن أصل التوسل مشروع لا خلاف عليه ، كان الكلام في فروعه من الخلافيات التي لا تتعلق بإيمان ولا كفر ، ولا توحيد ولا شرك ، وإنما محلها الجواز والمنع ، فحكمها الحلال والحرام .

إنه لا خلاف بين طوائف المسلمين إجماعاً ، على ثلاثة أنواع من التوسل :

النوع الأول : ـ التوسل بالحي الصالح إلى الله تعالى ، كما في حديث الضرير مع النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي سوف يأتي بيانه .

النوع الثاني :ـ توسل الحي بالعمل الصالح إلى الله تعالى ، كما في (حديث الثلاثة أصحاب الغار والصخرة) الذي أورده الامام البخاري في صحيحه .

النوع الثالث :ـ التوسل إلى الله بذاته تعالى ، وبأسمائه وصفاته ونحوها . وبما أن هذه الأنواع متفق على مشروعيتها ، فلا داعي لسرد الأدلة عليها ..

وانما الخلاف هو على التوسل بالميت الصالح .. وقد أجازه جمهور المسلمين من أهل السنة والجماعة ، ولديهم عليه الأدلة النقلية المتعاضدة نكتفي هنا منها (بحديث الأعمى) من حيث أنه المحور الأكبر في هذا الباب وعليه بدور النقاش .

حديث الأعمى في التوسل وقضاء الحاجة :

روى الترمذي بسنده عن عثمان بن حنيف ان رجلاً اعمى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اني أصبت في بصري ، فادع الله لي ،

قال : اذهب فتوضأ ، وصل ركعتين ثم قل : اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبي محمد ، نبي الرحمة ، يا محمد أني أستشفع بك على ربي ، في رد بصري ، وفي رواية (في حاجتي لتقضي لي ، اللهم شفعه في) (ثم قال صلى الله عليه وسلم) : وان كانت حاجة فافعل مثل ذلك . (وفي بعض روايات الحديث خلاف يسير في الألفاظ ليس بذي بال).

من هذا الحديث اخذ الفقهاء مندوبية صلاة الحاجة ، فمن كانت له الى الله تعالى حاجة ، صلى هذه الصلاة ، وتوجه الى الله بهذا الدعاء ، مع ما يناسبه من الدعاء المأثور وغير المأثور ، مما تمس اليه الحاجة وما يشعر به صاحبها .

ومنطوق الحديث حجة في صحة التوسل بالحي ، ومفهومه حجة على صحة التوسل بالميت ، من أن التوسل بالحي أو الميت ليس توسلا بالجسم ولا بالحياة ولا بالموت ، ولكن بالمعنى الطيب الملازم للانسان في الموت والحياة ، وما الجسم الا حقيبة لصيانة هذا المعنى ، فاستوجب بهذا تكريمه حيا كان أو ميتا ، على أن قوله (يا محمد) نداء للغائب الذي يستوي فيه الحي والميت ، فهو موجه الى المعنى الكريم على الله ، والملازم للروح ، والذي هو موضع التوسل بالحي او الميت على حد سواء .

حديث الأعمى والتوسل بالموتى :

ومع هذا فقد أخرج الطبراني في معجمه الصغير ، عن أبي امامة بن سهل بن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف : أن رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له ، فكان عثمان لا يتلفت اليه ، ولا ينظر في حاجته ، فلقي ابن حنيف فشكا اليه ذلك (أي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعد خلافة أبي بكر وعمر).

فقال له عثمان بن حنيف (وهو الصحابي المحدث العالم بدين الله) . ايت الميضأة ، فتوضأ ، ثم ايت المسجد ، فصل فيه ركعتين ، ثم قل : « اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة ، يا محمد : اني أتوجه بك الى ربي ، فيقضي حاجتي قال : وتذكر حاجتك ، ورح حتى أروح معك).

فانطلق الرجل يصنع ما قال له ، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فجاء البواب حتى أخذ بيده ، فأدخله علي عثمان بن عفان ،

فأجلسه معه على الطنفسة (الوسادة) فقال : ما حاجتك ؟! فذكر حاجته وقضاها له ، ثم قال له : ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة !! وقال : ما كانت لك من حاجة فاذكرها !!

ثم ان الرجل خرج من عنده ، فلقي عثمان بن حنيف . فقال له : جزاك الله خيرا ، ما كان ينظر في حاجتي ، ولا يلتفت الي حتى كلمته (يريد أن أبن حنيف كلمه ، أي توسط له عند عثمان بن عفان).

فقال عثمان بن حنيف : والله ما كلمته . ولكني شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضرير . فشكا اليه ذهاب بصره ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أو تصبر !؟ فقال : يا رسول الله ، انه ليس لي قائد ، وقد شق علي :

فقال صلى الله عليه وسلم : أيت الميضأة فتوضأ ، ثم صل ركعتين ، ثم ادع بهذه الدعوات .

قال ابن حنيف : فوالله ما تفرقنا . وطال بنا الحديث ، حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضر قط .

وهذا نص صحابي قطعي صريح في صحة التوسل بالموتى ، وقد صحح هذه القصة (البيهقي ، والمنذري ، والهيثمي) كما سيأتي .

تحقيق صحة حديث الضرير :

قال الطبراني : انه حديث صحيح ، وذكر أن عثمان بن عمر تفرد به عن شعبة .

قال الشيخ ابن تيمية (تأمل) : ان الطبراني ذكر تفرده بمبلغ علمه ، ولم يبلغه رواية روح بن عبادة عن شعبة ، وذلك أسناد صحيح . يبين أنه لم ينفرد به عثمان بن عمر (أهـ).

نقول : ولو سلمنا بانفراده به عن شعبة ، وانفراد أبي جعفر عن عمارة ، فهما ثقتان باجماع علماء الحديث ، وبهذا ينتفي تغريب الحديث عند الترمذي ، وكم من حديث صحيح . ولكنه غريب ، كحديث (انما الأعمال بالنيات) مثلا .

قلنا : وبهذا يتحقق علميا أن الحديث صحيح على شرط الشيخين (البخاري ومسلم) ومع هذا ، فبعض من في صدورهم غرض معين ، يضعف حديث الأعمى هذا من رواية الترمذي ، بحجة أن في سنده رجلا غير معروف ، والقاعدة عند علماء الحديث أن المجهول عند واحد ، اذا

كان معلوما عند غيره ، فالحجة للعالم به ، والمثبت مقدم على النافي عند جميع أهل العلم ، خصوصا أهل الحديث .

وقد قال الترمذي عنه . (حديث حسن صحيح غريب ، لا يعرف الا من هذا الوجه . من حديث أبي جعفر ، قال : وهو غير الخطمي (بفتح الخاء) ومعنى هذا : أن رواة هذا الحديث مع مجهولية أبي جعفر عند الترمذي : مقبولون بدرجة الحسن والصحة على الوجهين .

وعلماء الحديث الذين سبقوا الترمذي حققوا أن أبا جعفر (هذا المجهول عند الترمذي) هو الخطمي بعينه ، قال ابن أبي خيثمة : أبو جعفر هذا ، الذي حدث عنه حماد بن سلمة : اسمه عمير بن يزيد ، وهو أبو جعفر الذي يروي عنه شعبة ، ثم روى الحديث من طريق عثمان ، عن شعبة ، عن أبي جعفر .

قال ابن تيمية : ـ بعد أن روى حديث الترمذي : « وسائر العلماء قالوا هو أبو جعفر الخطمي ، وهو الصواب » فتأمل .

قلنا : وفي (تعريف التهذيب) للحافظ ابن حجر : انه الخطمي ، وأنه صدوق (من السادسة) وفي (الاستيعاب) لابن عبدالبر : أنه الخطمي كذلك ، ثم أن الحديث كذلك رواه البيهقي من طريق الحاكم وأقر تصحيحه ، وقد رواه الحاكم بسند على شرط الشيخين ، واقره الحافظ الذهبي ، واستشهد به الشوكاني . وهما !! من هما !!

ومعنى هذا : أن جميع رجال السند معروفون لكبار أئمة الحديث كالذهبي (وهو من هو تشددا) وابن حجر (وهو من هو ضبطا ، وحفظا ، وتحقيقا) والحاكم ، والبيهقي ، والطبراني . وابن عبدالبر ، والشوكاني ، وحتى ابن تيمية ... الخ .

ثم أن هذا الحديث اخرجه البخاري في (التاريخ الكبير) وابن ماجة في (السنن) ونص على صحته ، والنسائي في (عمل اليوم والليلة) وأبو نعيم في (معرفة الصحابة) والبيهقي في (دلائل النبوة) والمنذري في (الترغيب) والهيثمي في (المجمع) والطبراني في (الكبير) وابن خزيمة في صحيحه ، وآخرون .

وقد نص على صحته نحو خمسة عشر حافظا ، وهكذا جاء الحديث كما قدمنا على شرط الصحيحين : البخاري ومسلم ، فلم يبق بعد هذا مطعن لطاعن ، أو مغمز لمغتمز في صحة الحديث .

وبالتالي في جواز التوسل بالحي والميت جميعا من طريق : العقل ،

والعلم ، والعاطفة ، وفي الأمر سعة ، من شاء توسل ، ومن شاء ترك بلا فتنة ولا تأثيم بعد كل هذا التحقيق الدقيق .

موضوع توسل الصحابة بالعباس :

ثم ان توسل الصحابة بالعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لا ينفي أبدا صحة التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في قبره ، اذ لا تنافي بين الامرين ، بدليل انه : بينما كانت طائفة تتوسل بالعباس لقرابته من النبي صلى الله عليه وسلم (ومعنى هذا أنهم يتوسلون بالنبي نفسه) كان بعضهم يتوسل الى الله مستسقيا بالرسول في قبره فقد أخرج ابن أبي شيبة عن (مالك الدار) بسند صحيح (كما في فتح الباري) وأخرجه البخاري في (التاريخ) وابن أبي خيثمة ، والبيهقي في (الدلائل) : أن بلال بن الحارث المزني الصحابي ، أتى الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الرمادة (القحط) في عهد عمر ، وقال : (يا رسول الله استسق لأمتك فانهم قد هلكوا) .. الخ .

وهو نص من فعل الصحابة في صحة التوسل بالميت . وبما انه لم ينكره عليه أحد ، فقد أخذ بالتتالي قوة الاجماع .

وقد روى ابن عبد البر في (الاستيعاب) سبب توسل الصحابة بالعباس وهو لا يتنافى مع التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في قبره ، بل هو هو . قلنا : لأن علة توسلهم به رضي الله عنه هي قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم فكأنهم توسلوا بالرسول وبعمه في وقت واحد ، والا فلماذا اختاروا العباس بالذات مع وجود غيره ؟

وكلام الحافظ في (الفتح) يؤيد هذا الجانب ، شأن جمهور علماء المسلمين وهو معتضد بخبر فتح الكوي في سقف الحجرة المشرفة ، باذن عائشة توسلا الى الله في اللطف بالعباد ، كما روى عن أبي الجوزاء ، وأخرجه الدارمي في (سننه) وعلق عليه (القاري) في شرح (المشكاة) تأكيدا . فالتوسل بالعباس بعد كل هذا فرع لا يتنافى مع الأصل ـ وهو التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ـ لا عقلا ولا نقلا .

علماء الأصول والتوسل بالموتى :

وعلماء (أصول الدين) هم اهل الاختصاص في هذا المجال وليس لمنكر من بعد مقالهم مقال . فقد اجازوا التوسل بصالحي الموتى ، وفي مقدمتهم : علامة الدنيا الامام فخر الدين الرازي في (المطالب العالية) وامام البيان العلامة سعد الدين التفتازاني في (شرح المقاصد) وامام الاعجاز العلامة الشريف الجرجاني في حاشية (المطالع) ولهم في ذلك توجيهات وتفاصيل ، ونقول : وفلسفات تؤكد ما يكون بين الزائر والمزور من المدد والافاضة . والصلة الروحانية ، على نسبة منزلة كل منهما في الحياتين .

وفي (مناسك) الامام أحمد ، رواية أبي بكر المروزي ، في التوسل الى الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم في قبره ، وهذاك صيغة طويلة للتوسل به صلى الله عليه وسلم عند الحنابلة ذكرها أبو الوفاء بن عقيل في (التذكرة) فلا خلاف عند كبار الحنابلة على ذلك .

وتوسل الامام الشافعي بالامام أبي حنيفة (وهو ميت) مذكور في أوائل (تاريخ الخطيب) بسند صحيح . ا . هـ[١]

(فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً)؟!

التوسل واستمداد المغفرة من الله تعالى بجاهه صلى الله عليه وسلم :

سخر الشيخ ابن منيع من قول السيد المالكي : (فكم للصلاة عليه من فوائد نبوية ، وامدادات محمدية) وتساءل متهكما : (وأما الامدادات المحمدية فلا ندري ما هو مقصود المالكي بها ؟) كذلك هاجم ما أورده السيد المالكي في (الذخائر) من صيغة للسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها : « وقد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك يا رسول الله إلى ربي عز وجل).راجع صفحة (٧٥) من حواره .

ونحن نورد له فيما يلي قصة الأعرابي الذي وجد نفسه مذنبا فذهب يستمد مغفرة الله تعالى وعفوه عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) (قضايا الوسيلة) للشيخ محمد زكي ابراهيم

بعد انتقاله للرفيق الأعلى وذلك فيما أخرجه ابن عساكر في تاريخه وابن الجوزي في مثير الغرام وابن النجار بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالي قال أتيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فزرته فجلست بحذائه فجاء أعرابي وذكر نحو ما سيأتي ، بل روى ابو سعيد السمعاني عن علي رضي الله عنه قال قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبره وحثى من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله سبحانه وتعالى ووعينا عنك وكان فيما أنزل عليك (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك) الآية وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي ، فنودي من القبر أنه قد غفر لك) انتهى .. (**فباي حديث بعده يؤمنون**)؟!

عقيدتنا في التوسل :

نحن نعتقد أن جميع الأنبياء والأولياء لا فعل لهم ولا قدرة لهم ولا تصرف ، لا الآن ولا حين كانوا أحياء في دار الدنيا فإن صفتهم الفناء والاستهلاك ليس إلا ، ولو كان هذا التوسل شركا وتوجهاً إلى غير الله كما يزعمه المنكر ، فينبغي ان يمنع التوسل وطلب الدعاء من الصالحين من عباد الله وأوليائه في حال الحياة أيضاً ، وليس ذلك مما يمنع ، فإنه مستحب ومستحسن شائع في الدين ، ولو زعم أنهم عُزلوا وأخرجوا من الحالة والكرامة التي كانت لهم في الحياة الدنيا ، فما الدليل عليه ، ومن اشتغل من الموتى عن ذلك بما عرض له من الآفات فليس ذلك كلياً ، ولا دليل على دوامه واستمراره إلى يوم القيامة ، غايته أنه لم تكن هذه المسألة كلية .

نعم إن كان الزائر يعتقد أن أهل القبور متصرفون ومستبدون وقادرون من غير توجه إلى حضرة الحق والإلتجاء اليه كما يعتقده العوام الغافلون الجاهلون ، وكما يفعلون أولئك من تقبيل القبر والسجود والصلاة اليه مما وقع عنه النهيَ والتحذير ، فذلك مما يمنع ويحذر منه ، وفعل العوام لا يعتبر قط ، وهو خارج عن البحث وحاشا من العالم بالشريعة والعارف بأحكام الدين أن يعتقد ذلك ويفعل هذا . وإلى هذا التوسل أشار الامام مالك رحمه الله تعالى للخليفة الثاني من بني العباس ، وهو المنصور جد الخلفاء العباسيين ، وذلك أنه لما حج المنصور

وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم سأل الامام مالكاً وهو بالمسجد النبوي وقال له :ـ يا أبا عبدالله استقبل القبلة وأدعو ، أم استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . فقال مالك :ـ ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى ، بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك ، قال تعالى : (**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً**) النساء ـ وقد ذكره القاضي عياض في (الشفاء) وساقه بإسناد صحيح وذكره السبكي في (شفاء السقام) والسمهودي في (خلاصة الوفاء) والعلامة القسطلاني في (المواهب اللدنية) والعلامة ابن حجر في (تحفة الزوار والجوهر المنظم) وذكره كثير من أصحاب المناسك في آداب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم (راجع كتاب ـ طي السجل ـ للسيد محمد مهدي الرواس الرفاعي) .

فهل الشيخ ابن منيع والمشايخ في الرئاسة لا يزالون مصرين على ما ورد في الحوار بصفحة (١٦) من (أن الاستشفاع والاستجارة به بعد وفاته صلى الله عليه وسلم من أنواع الشرك الأكبر) . نسأل الله السداد في القول ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والحاصل ان مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته ، وكذا بغيره من الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين ، كما دلت الاحاديث السابقة ، لأنا لا نعتقد تأثيرا ، ولا خلقا ، ولا ايجادا . ولا اعداما ، ولا نفعا ، ولا ضرا ، الا لله وحده لا شريك له ، فلا نعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا للنبي صلى الله عليه وسلم ، باعتبار الخلق والايجاد والتأثير ، ولا لغيره من الاحياء والاموات ، فلا فرق في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء والمرسلين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، وكذا بالاولياء والصالحين ، لا فرق بين كونهم أحياءا أو أمواتا ، لأنهم لا يخلقون شيئا ، وليس لهم تأثير في شيء ، وانما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى ، والخلق والايجاد والتأثير لله وحده لا شريك له (ولأنه تسري بركة المكان على الداعي) كما ذكر الامام الشوكاني في كتابه (تحفة الذاكرين) بعدة الحصن الحصين .

وأما الذين يفرقون بين الاحياء والاموات حيث جوزوا بعض التوسلات بالاحياء لا للاموات ، فهم القريبون من الزلل ، لأنهم اعتبروا

ان الاحياء لهم التأثير دون الاموات ، مع انه لا تأثير ايجاديا لغير الله سبحانه وتعالى على الاطلاق . وأما الافادة وفيض البركات والاستفادة من أرواحهم استفادة اعتيادية ، وتوجه أرواحهم الى الله سبحانه وتعالى طالبين فيض الرحمة على ذلك المتوسل ، فهو شيء جائز وواقع وخال عن كل خلل ، بدون الفرق بين الاحياء والاموات .

فشبهة المانعين ان كانت من جهة ان الاموات أجساد هامدة جامدة ، ولا روح ولا ادراك ولا مجال للخطاب معهم ، فتلك ساقطة من الاعتبار ، بأن أجساد الانبياء والرسل لا تبلى ، وان الله حرم على الأرض أن تأكل لحومهم ، وأن أرواحهم باقية ثابتة ، ولها ادراك باذن الله تعالى ، وهو تعالى يعلمها بصلوات المسلمين وبتوسلات المتوسلين ، وحسبك في الموضوع خطاب النبي صلى الله عليه وسلم في كل صلاة عند التشهد بقولك : السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ا.هـ من (نور الاسلام) .

هذا وقد أجاد سماحة الشيخ عبدالكريم المدرس رئيس جمعية علماء بغداد نفع الله تعالى بحياته عندما ذكر في كتابه القيم (نور الاسلام) السالف :ـ

(أنه هناك امور ينبغي التعرض لها لزيادة بصيرة المسلمين :

الاول ـ انه هل للاموات ادراك واطلاع على الزائر وشخصيته وفهم لاحواله ؟

الثاني ـ هل هناك فائدة تعود على الميت أولا ؟ وعلى الزائر ثانيا ؟

والثالث ـ انه هل يجوز للزائر التوسل بهم الى الله سبحانه لحصول خير أو دفع شر ؟

فنقول أما الاول ـ فان كان الميت نبيا من الانبياء (عليهم الصلاة والسلام) فلهم ادراك ، فقد ثبت ان الانبياء أحياء في قبورهم ، وان الأرض لا تأكل اجسادهم لما روي النسائي عن أوس بن أوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله عز وجل قد حرم على الأرض ان تأكل أجساد الأنبياء »[1] عليهم الصلاة والسلام ، واخرجه ابن ماجة في سننه ايضا . وروى البيهقي في كتاب الانبياء وصححه من حديث أنس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال « الانبياء أحياء في قبورهم

---

(١) انظر النسائي (٣/ ٩١ ـ ٩٢) . رواه احمد في المسند (٤/ ٨) والحاكم في المستدرك (١/ ٢٧٨) وابن ماجة عن ابي الدرداء رقم ١٦٣٧ وابو داود في كتاب الصلاة من سننه (١/ ٣٥١)

يصلون »[1] ، وكذلك رواه ابو يعلي والبزار وابن عدي واخرج مسلم في باب فضائل موسى عليه السلام من رواية انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مررت على موسى ليلة أسرى بي عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلي في قبره »[2] (راجع فتح الباري ٢/ ٢٦٠ لمزيد البحث والبيهقي في (حياة الانبياء) .

وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم فاذا أنا مت كانت وفاتي خيرا لكم تعرض علي أعمالكم فان رأيت خيرا حمدت الله وان رأيت شرا استغفرت لكم »[3] ، وذلك العرض كل يوم ، وقد عد من خصائصه صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك من الاحاديث الواردة في هذا الباب مما يدل مجموعها دلالة لا مرية فيها على حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام رواه الحافظ الهيثمي عن عبد الله بن مسعود وقال رواه البزار ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٩/ ٢٣) .

وكذلك الشهداء فقد ثبت ايضا انهم أحياء في قبورهم وان كانت حياتهم دون حياة الانبياء قال تعالى « **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون**) سورة البقرة - آية ١٥٤ .

والصحيح الذي عليه اكثر الائمة ان الثواب والعذاب على مجموع الروح والجسد ، لكن الجسد البرزخي ، لا هذا الجسد المادي المرئي المشهود ، لأنه ربما يحرق الانسان فيصير بدنه هباء منبثا ، أو يتفتت في القبر ، ومعنى الجسد البرزخي انه يخلق الله تعالى لروح المتنعم او المعذب جسدا لطيفا كجسد الملائكة التي لا فرق فيه بين المحل الكبير والصغير ، ولا يمنعه مانع ، من قبوله التنعم والتعذب ، وتصور ذلك سهل لمن له المام بالوحي والرسالة . ومن تأمل عجائب الملك والملكوت ، وغرائب صنعه تعالى ، لم يستنكف عن قبول أمثال هذه الأشياء ، فان للنفس نشآت ، وهي في كل نشأة منها تشاهد صورا تقتضيها تلك النشأة ، فكما انا نشاهد

---

(١) صححه البيهقي في كتاب حياة الانبياء ص ٤ وايده الشوكاني في بل الاوطار (٥/ ١٠٨)
(٢) اخرجه مسلم في الفضائل . انظر شرح النووي في هامش القسطلاني (٩/ ٢٣١)
(٣) رواه الحافظ الهيثمي عن عبد الله بن مسعود . وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح . انظر مجمع الزوائد (٩/ ٢٤)

في المنام صورا لا نشاهدها في اليقظة ، كذلك نشاهد في حال انخلاعنا عن البدن أموراً لم نكن نشاهدها في الحياة ، والى ذلك يشير قول من قال : الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا .

فانا نصدق بان القبر يوسع على الميت من أهل السعادة بمقدار ما يعلمه الله تعالى ، وانه يبقى في النعيم الى ما شاء الله وكذلك نصدق بأن الحية مثلا موجودة تلدغ الميت ، ولكنا لا نشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة تلك الامور الملكوتية ، وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت .

وقال في موضع آخر من الكتاب :-

هذا ولا ينافي ذلك قوله تعالى : (إنك لا تسمع الموتى) لقوله تعالى : **(إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور)** فإنه لولا خلق الله للإسماع لم يكن إسماع لأي شخص من أي شخص حتى في الدنيا وفي حال اليقظة ، ولكن الله يسمعهم ، والا فكيف كان يتكلم صلى الله عليه وسلم مع قتلى بدر الواقعين في القليب ، وكيف يقول صلى الله عليه وسلم ان الموتى يسمعون قرع نعال المشيعين لهم ، وكيف كان مجال لتلقين الموتى بعد الدفن ؟.

وان كانت شبهتهم من جهة أنه تأثير لما سوى الله تعالى ، فهي مدفوعة بأن المتوسلين لا يريدون منهم التأثير والايجاد ، معاذ الله ان يتصور المسلم صحة شيء مخالف لقواعد الايمان والاسلام والتوحيد . وان كانت الشبهة وقوع بعض ألفاظ غير سليمة من الخلل ، فهي مدفوعة بتداركها بأدنى عناية حول تربية المسلمين لترك الالفاظ غير السليمة ، واستعمال ما يناسب مقام العبودية .

وأما منع التوسل مطلقا فلا وجه له مع ثبوته في الاحاديث الصحيحة ، ومع صدوره من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الامة وخلفها ، **وجعل التوسل شركا وكفرا معارضة صريحة لقواعد الاسلام ، فان من قواعده عدم تكفير أي مسلم الا بعد ثبوت مكفر منه لا يقبل التأويل ، واضلال للامة المعصومة من الخطأ فضلا عن الكفر بقوله صلى الله عليه وسلم « لا تجتمع أمتي على ضلالة »**[1] ، الحديث المعروف المشهور الجلي الذي ادعى بعض المحدثين انه متواتر ، ومخاصمة مع قوله تعالى **(كنتم خير أمة أخرجت**

---

(١) راجع تخريج الحديث في ص ١٢ من هذا الكتاب

للناس)[1] اذ كيف تجتمع كلها أو أكثرها على ضلالة ؟ وهي خير أمة أخرجت للناس .

فاذا وقفنا وتوجهنا الى الضريح الانور وخاطبناه صلى الله عليه وسلم ، فخطابنا معه له أصل في الدين ، وهو الخطاب معه في تشهدنا لكل صلاة ، ومعنى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم له روح عالية الدرجات موهوبة منه سبحانه بفضائل لا يعلمها الا هو ، وانه تعالى يخبره ويعلمه بصلاة المصلين وخطاب الحاضرين والغائبين .

واذا توسلنا به صلى الله عليه وسلم على معنى طلب الدعاء منه صلى الله عليه وسلم ، فطلب الدعاء مشروع ، وروحانيته المنورة لا فرق بين عالم علاقتها المادية الدنيوية وعلاقتها البرزخية ، بل والارواح في البرزخ أصفى منها في عالم الدنيا .

واذا توسلنا بذاته الشريفة ، أو بجاهه العظيم ، أو بحقه الجسيم ، أي حق رعايته للعبودية الخالصة عند الله تعالى بمحض احسانه ولطفه ، أو فضل طاعته واعماله وجهاده في تبليغ الدين المبين ، فكل ذلك واقع في الروايات الصحيحة كما سمعت منا في أوجه التوسل به صلى الله عليه وسلم .

واذا كان القصد الاستشفاع به صلى الله عليه وسلم ، فلا شك انه الشفيع الأكرم المشفع ، وشفاعته ثابتة لا شك فيها ، وقبول شفاعته ثابت بفضل الله وهو من خالص كرمه ورحمته تعالى ، لا حق لأحد في منعه وحجره أو انكاره .

وما توهم الناس به من انه اشراك ، فهو توهم من تعامي عن حقيقة معنى الاشراك ، فانه عبارة عن ان يجعل العبد احدا سوى الله تعالى شريكا له في الألوهية والربوبية والخلق ، أي ان ذلك الشريك له نصيب من الصفات المذكورة ، وأين ذلك من التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم ، بصفة أنه عبدالله ونبيه ورسوله أكرمه بفضله ، وجعل له الشفاعة والوسيلة والمقام المحمود ؟

وقياس المسلمين المتوسلين على عباد الأصنام في ما حكاه الله تعالى عنهم من قولهم (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) ونحوه

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١١٠

ناشيء عن اغماض عن الحق وانحراف عن الواقع ، وتسوية بين الامة الوثنية الجاهلة الضالة العمياء وبين الامة المسلمة المؤمنة بالله وحده لا شريك له ، الناشئة على الملة الاسلامية الحنيفة المهتدية البيضاء ، التي تمرنت على الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى رب العالمين وخالق كل شيء ومعبود المكلفين . وكيف يتصور بمن أسلم وقرأ القرآن وفهم تعاليمه أن يظن تلك الظنون الفاسدة التي ظنها عباد الأصنام الجاهليون ؟ وكيف يتصور ذلك من العلماء الاعلام الدارسين لمعنى قوله تعالى (قل انما انا بشر مثلكم يوحى اليّ انما إلهكم آله واحد) ولأنذارات الرسول الكريم لعشيرته بعد نزول قوله تعالى (وانذر عشيرتك الأقربين) ؟.ا .هـ .

هذا وقد يكون من المفيد كثيرا ذكر اقوال هؤلاء الاعلام :-

* قال الامام ابن الحاج المكي في (المدخل) والامام القسطلاني في المواهب قد قال علماؤنا رحمهم الله تعالى : (**لا فرق بين موته وحياته صلى الله تعالى عليه وسلم في مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك جلي عنده لاخفاء به) ا.هـ .**

ا . هـ .

* وقال القاضي ثم القاري ثم المناوي في التيسير شرح الجامع الصغير للامام السيوطي رحمهم الله تعالى : (النفوس القدسية إذا تجردت عن العلائق البدنية اتصلت بالملأ الأعلى ولم يبق لها حجاب فترى وتسمع الكل كالمشاهد) ا . هـ .

* وفي « المنقذ من الضلال » للامام الغزالي رحمه الله : (أن أرباب القلوب في يقظتهم قد يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد).ا .هـ .

* وقد قال تلميذه الامام القاضي أبو بكر بن العربي المالكي : (ورؤية الأنبياء والملائكة وسماع كلامهم ممكن للمؤمن كرامة) (أهل الحق - للمحدث محمد حافظ التيجاني) .

* وقد قرر الامام الشيخ ابن القيم في كتابه (الروح) : (أن للأرواح قوة وطاقة وقدرة لا يتصورها البشر ، حتى أن روحاً واحدة عظيمة تؤثر في جيش كامل).

الروح بعد مفارقتها للجسد :

والروح بعد مفارقتها للجسد يكون الموت ، وتبقى هي مدركة تسمع من يزورها ، وتعرفه ، وترد عليه السلام ، وتحس لذة النعيم ، وألم الجحيم .

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى :ـ

« وقد استفاضت الأخبار بمعرفة الميت بحال أهله وأصحابه في الدنيا ، وأن ذلك يعرض عليه ، وأنه يرى ويدري ما يفعل عنده ، ويسر بما كان حسناً ، ويتألم بما كان قبيحاً » ؟

وروى أن عائشة رضي الله عنها : بعد أن دفن عمر رضي الله عنه ، كانت تستتر وتقول : « كان أبي وزوجي ، فأما عمر فاجنبي » .. تعني أنه يراها .

« وروى أن الموتى يسألون الميت عن حال أهليهم ، فيعرفهم أحوالهم وأنه ولد لفلان ولد وتزوجت فلانة » اهـ . العقائد الاسلامية لسيد سابق صفحة ٢٣٠) .

السؤال في القبر :

اتفق أهل السنة والجماعة على أن كل إنسان يسأل بعد موته قبر أم لم يقبر . فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً ، ونسف في الهواء ، أو غرق في البحر لسئل عن أعماله ، وجوزي بالخير خيرا ، وبالشر شرا . وأن النعيم أو العذاب على النفس والبدن معاً . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :ـ

(مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ، ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد ، وقاموا من قبورهم لرب العالمين ، ومعاد الأبدان متفق عليه

بين المسلمين واليهود والنصارى .) ا . هـ . (المصدر السابق صفحة ٢٣١) .

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، وصحيح أبي حاتم : أن النبي صلى الله عليه وسلم : قال :-

« إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم ، حين يولون عنه ، فإن كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه ، والصيام عن يمينه ، والزكاة عن شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجليه ، فيؤتي من قبل رأسه فتقول الصلاة : ما قبلي مدخل ، ثم يؤتي من يمينه ، فيقول الصيام : ما قبلي مدخل ثم يؤتي عن يساره ، فتقول الزكاة : ما قبلي مدخل ، ثم يؤتي من قبل رجليه ، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان : ما قبلي مدخل ، فيقال له : اجلس ، فيجلس ، قد مثلت له الشمس ، وقد أخذت للغروب . فيقال له : هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول : دعوني أصلي ، فيقولان : إنك ستصلي ، أخبرنا عما نسألك عنه ؟ أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه : ؟ وما تشهد عليه ؟ فيقول : محمد - صلى الله عليه وسلم - أشهد أنه رسول الله جاء بالحق من عند الله . فيقال له : على ذلك حييت ، وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ثم يفتح له باب إلى الجنة ، فيقال له هذا مقعدك . وما أعد الله لك فيها ، فيزداد غبطة وسرورا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً . وينور له فيه . ويعاد الجسد لما بدىء منه ، وتجعل نسمته في النسم الطيب ، وهي طير معلق في شجر الجنة ، قال : فذلك قول الله تعالى :

« **يُثَبِّتُ اللهُ الّذين آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابتِ في الحَياةِ الدُّنْيا وفي الآخِرَةِ** » نسأل الله سبحانه وتعالى ان يهدي المسلمين بنور العلم السليم الى الصراط المستقيم بمنه وفضنه انه أرحم الراحمين .

وقلوبنا مملوءة بأمل أن ينتبه المسلم الزكي الذكي المنصف لملاحظة الحقائق ، وتنوير الامة على ضوئها ، وارشاد العامة وتأييد الخواص ، فالدين نصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وليس من النصيحة اثارة الشكوك والاوهام وتضليل المسلمين من لدن القرون الاولى الى يومنا . فانه قد مضت قرون والمسلمون والرشد في قرن كما انه لا ينبغي ولا يجوز بل يحرّم الاقتداء بالحرورية المكفرين

فإن رأينا نحن المسلمين ان لا نكفر أحدا من أهل القبلة ، إلا بحجة قاطعة على كفره ، كما يجب الاجتناب كل الاجتناب عن الانحراف ، ويجب علينا الاعتدال والوقوف في وسط الطريق بلا افراط وتفريط ، وايتاء كل ذي حق حقه ، وهذا هو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من الرسول وصحابته واتباعه واتباع التابعين صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم وعنا ببركاتهم اجمعين . اللهم ارزقنا التصديق والتسليم ولا تجعلنا اللهم من الذين ذممتهم فقلت فيهم **(قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور)** الممتحنة ـ ١٣.

« الفصل الثامن »

شبهات صغيرة والرد عليها

سعادة من رآه صلى الله عليه وسلم

كان الشيخ ابن منيع في رده المتهافت على الشيخ السيد محمد علوي المالكي يخبط خبط عشواء ، فبالاضافة إلى تسرعه في السباب والشتيمة وتوزيع صفات البدعة والكفر والشرك على خصمه ، غالى في إنكار وجحود جميع ما كتبه السيد وذكره حتى ما كان منه مؤيدا بأحاديث شريفة صحيحة فنراه يهاجم ما نقله السيد المالكي في صفحة (٥٤) من الهمزية من قول المحب البوصيري رحمه الله :

ليته خصني برؤية وجه   زال عن كل من رآه العناء

قائلا (في صفحة ١٦ من حواره):

« وهذا كذب وباطل وقد رآه في حياته عليه الصلاة والسلام أقوام كثيرون فما زال عنهم عناؤهم ولا كفرهم).ا . هـ . والمتتبع لردود الشيخ ابن منيع ومن ساعده من المشايخ في الرئاسة العامة ممن شكرهم في خاتمة كتابة وأثنى عليهم ودعا الله تعالى لهم بالأجر في سبيل الدفاع عن العقيدة في صفحة ١٩٩ ـ أنهم ليسوا من ذوي الإطلاع الحسن على السنة وكتب الحديث النبوي الشريف التي هي المصدر الثاني بعد كتاب الله تعالى ، والا فكيف نفسر هذا الحكم القاطع من الشيخ ابن منيع واقرار زملائه واعوانه له فيه مع أن هناك حديثاً صحيحاً رواه الترمذي في سننه عن سيدنا جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :ـ (لا تمس النار مسلماً رآني أو رأى من رآني) الحديث رقم ٣٩٥٧ من سنن الترمذي (طبعة القاهرة).

ولقد التبس على بعضهم كما التبس على الشيخ ابن منيع كيف يكون ذلك صحيحاً مع أن هناك (أقوام كثيرون رأوه صلى الله عليه وسلم فما زال عناؤهم وكفرهم) كأبي لهب وأبي جهل والوليد وأبي ابن خلف وغيرهم .. فكان رفع الالتباس عن غشاوة أذهانهم في حقيقة (أن أولئك

إنما نظروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة (يتيم أبي طالب) لا بصورة نبي الله ورسوله وحبيبه ورحمته للعالمين) وصدق الله تعالى وكفى بقوله تعالى قولا إذ يقول :- (**وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون**) الأعراف - آية ١٩٧ .

فمن المطالب الآن بالتوبة عن رأيه والاستغفار السيد المالكي أم الشيخ ابن منيع (اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ولا تجعله علينا متشابها فنتبع الهوى) آمين .

أين الاجماع ؟!

قال الشيخ ابن منيع في حواره : (لا شك أن علماء التفسير واللغة وأهل العلم مجمعون على أن النور في الآية الكريمة - كمشكاة فيها مصباح - إلى آخر الآية من سورة النور - نور الله تعالى وأن التشبيه تشبيه لنوره تعالى وتقدس) ص ٢٠ .

وقد أوغل في الخطأ وأصدر حكماً قاطعاً دون الاستناد إلى ما يجب من الأدلة الشرعية ونسب لعلماء التفسير واللغة وأهل العلم ما لم يصدر عنهم . والحق أن العلماء والمفسرين قالوا في تفسير قوله تعالى : « **الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاةٍ فيها مصباح المصباح في زجاجةٍ الزجاجة كأنها كوكب دُرِّيٌّ يوقد من شجرةٍ مباركة زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار . نور على نورٍ يهدي الله لنوره مَن يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم** » سورة النور آية ٣٥ .

ففي هذه الآية الكريمة ذكر سبحانه النور الذي أظهر به وجود الأكوان والنور الذي أضاء به القلوب بالإيمان :

فالأول أشار إليه بقوله تعالى : « الله نور السموات والأرض » .

فهو سبحانه الذي أفاض على السموات والأرض وما فيهن نور الوجود فأظهرها من ظلمة العَدم الإمكاني فإن النور هو ما كان ظاهراً بنفسه ومظهراً لغيره ، وما من ظاهرٍ في الوجود إلا والذي أظهر وجوده هو أظهرُ وجوداً منه ، ولا من نيِّرٍ إلا والذي نوَّره هو أقوى نوراً منه فسبحان من أظهر الظاهرات بعد ما كانت في خفايا الظلمات ، وسبحان

من نوَّر النيِّرات فأشرق نورها علىٰ الكائنات ، وسبحان من تجلىً بنور الإيجاد على الظلمات العدمية فأشرقت بنور الوجود .

وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام يتهجَّد في الليل قال : « اللهم ربنا لك الحمد أنت قيِّم السموات والأرض ومَن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومَن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومَن فيهن ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت مالك السموات والأرض ومن فيهن » الحديث .

وجاء في دعائه صلى الله عليه وسلم : « أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءتْ له السموات والأرض واشرقتْ له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة - أن يحلَّ بي سخطك أو أن ينزل عليّ غضبك ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » .

وأما النور الذي أضاء القلوب بالإيمان والمعرفة فهو المذكور في قوله تعالى : « مثل نوره كمشكاة » فقد قال أبيُّ بن كعب وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين : إن المعنى مثل نور الله تعالى في قلب عبده المؤمن .

وهذا هو نور الإيمان والهداية المذكور في قوله تعالى : « افَمَنْ شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه » . وقال تعالى : « فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام » الآية . روى ابن أبي حاتم وغيره انه قيل : يا رسول الله ما هذا الشرح ؟ قال : « نور يقذف في القلب » .

وروى الترمذي وأحمد وغيرهما عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمةٍ ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضلَّ » .

فلم يترك سبحانه عباده في ظلمةٍ بل ألقى عليهم من نوره ليعرفوه(١) وليهتدوا بنوره إليه فمن تعرّض لذلك النور أصابه فاهتدى ، ومن أعرض عن ذلك النور ضلَّ وتركهم الله في ظلمات لا يبصرون لأنهم

أعرضوا وتولوا . ومن البديهي في المحسوسات أن من توجَّه الى النور أضاء وجهه واستنار ومن أعرض عنه أُظلم وجهه وحار .

قال الله تعالى : « **أوَ مَنْ كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كَمَنْ مثله في الظلمات ليس بخارج منها** » . الآية فالكافر يتخبط في الظلمات وأما المؤمن فهو على نور من ربه ويقول الشيخ عبد الله سراج الدين في (الايمان بعوالم الآخرة) : -

« وهذا النور الإيماني هو المذكور في الحديث الذي رواه أبو يعلي من حديث الفرات بن سليمان قال : قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ألا يقوم أحدكم فيصلي أربع ركعاتٍ ويقول فيهنَّ ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تمَّ نورك فهديتَ فلكَ الحمد ، عظم حلمكَ فغفرت فلكَ الحمد بسطتَ يدك فأعطيتَ فلك الحمد » . الحديث كما في الحصن الحصين وشرح المواهب .

وإن أول القلوب وأعظم القلوب إضاءةً بهذا النور وأوسع القلوب إشراقاً بهذا النور وأكثرها نصيباً من هذا النور هو قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أفاض النور على سائر القلوب والذي أشرق على مرايا القلوب فانعكس فيها ذلك النور الإيماني على حسب استعداد ذلك القلب وقابليته .

وقد قال كثير من المفسرين المحققين في قوله تعالى : « **مثل نوره كمشكاة فيها مصباح** » :

إنَّ المراد بالمشكاة هو صدر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة هي قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم والمصباح هو النور الإيماني المحمدي والشجرة التي يأتي منها المدد هي شجرة الوحي المحمدي صلى الله عليه وسلم فالتقى نور على نور .

فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو مصباح مصابيح القلوب ونور أنوار البصائر وهو صلى الله عليه وسلم السراج المنير للقلوب والعقول والأسماع والابصار والافكار والوجوه والمدارك والأفهام .

وقد سمَّاه الله تعالى بما سمى به شمس الضياء في علياء السماء ولكن وصفه بوصف أكمل وأجمل وأعلى وأسمى من وصف شمس السماء .

قال تعالى في وصف الشمس السمائية (**وجعلنا سراجاً وهاجاً**) . وقال تعالى في وصف الشمس المحمدية (**وداعياً إلى الله**

بإذنه وسراجاً منيرا) وشتان بين الشمس الوهاجة التي يضر وهجها وبين الشمس المنيرة » ا.هـ .

نعاله صلى الله عليه وسلم :

في رده على الشيخ السيد محمد علوي المالكي شطح الشيخ عبدالله بن منيع شطحات واسعة ، دلت على عدم ترويه والتماسه العذر لأخيه فقد هاجم السيد العلوي لأنه أورد شعراً لشاعر محب للنبي صلى الله عليه وسلم يمدح نعله الشريفة (ص ١٦) ولا أدري هل يجهل المعترض أن سيدنا عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه - الذي كثيراً ما تترس ببعض أقواله في مهاجمة البدعة - يحمل في كتب الصحاح والسنة الشريفة أنه (كان صاحب النعال والمشط والمكحلة والإدواة) وهو ابريق وضوئه صلى الله عليه وسلم كما أورد ذلك الإمام البخاري وغيره ، إذ كان يوقظه إذا نام ويستره إذا اغتسل ويلبسه نعليه إذا أراد الخروج ، ويخلعها من قدميه إذا هم بالدخول ويحمل له عصاه وسواكه وقد قال المرحوم الشيخ يوسف النبهاني شعرا :

ونعل خضعنا هيبة لوقارها * فإنا متى نخضع لهيبتها نعلُو
فضعها على أعلى المفارق إنها * حقيقتها تاج وصورتها نعل

رحمك الله يا ابن أم عبد فقد علمتنا درساً في أن الاتباع وحده ليس كل شيء بل لابد معه من المحبة لأنه قد يتبعك من لا يحبك ويهواك خوفاً أو طعماً واجعلنا اللهم من المحبين المتبعين فقد قال الحبيب صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) متفق عليه .

وقد حفلت كتب الصحاح والسيرة بالأحاديث الصحيحة المتواترة عن تبرك الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم بآثاره الشريفة صلى الله عليه وسلم من شعره ووضوئه وحتى بصاقه الشريف كما نقل ذلك الامام ابن القيم رحمه الله في (زاد المعاد في هدي خير العباد) وغيره . فهل بعد ذلك يُهاجم السيد العلوي ويُعاب هو أو غيره من المحبين إذا تشبهوا بالسلف الصالح ؟!. وهل كان الشيخ ابن منيع يستنكف لو أتيح له ما شرف به الصحابي الجليل ابن مسعود من حمل نعله الشريفة صلى الله

عليه وآله وسلم حتى روي أنه كان (يضعها في كمه) وإذا كان الحنابلة وغيرهم من فقهاء أهل السنة والجماعة أجازوا تقبيل غلاف المصحف لأنه تشرف بمجاورة المصحف الشريف فهل يعد (شركا وكفرا) أم (محبة وتبركاً) أن يقبل المحب شباك قبر النبي صلى الله عليه وسلم لأن الشباك تشرف بمجاورة الضريح الشريف الطاهر ؟!

هذا والملاحظ أن الشيخ ابن منيع ومن شاركه في إعداد وطبع هجومه وتهجمه على السيد الشيخ المالكي ، قليلو البضاعة العلمية وقليلو المطالعة في كتب التراث الاسلامي الواسع العميم عدا مطالعتهم فقط لكتب الشيخين ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى ، والا لعلموا أن الكثير من العلماء قد اهتموا وألفوا في موضوع نعاله الشريف صلى الله عليه وسلم ، لأن من خصائصه صلى الله عليه وسلم اعتناء العلماء بنعله واهتمامهم بالبحث الدقيق والدراسة العميقة عن صفتها ومثالها ولونها وجنسها وعددها وحاملها ومدحها والثناء عليها والتفنن في ذلك شعرا ونثرا .

وقد اجتهد في تحقيق مثال نعله صلى الله عليه وسلم بالبحث في كتب السير أئمة فحول من الحفاظ وكبار المحدثين . فمنهم ابن العربي وابن عساكر وابن مرزوق والفارقي والسيوطي والسخاوي والتتائي والعراقي .

وامتدح النعل كثير من الأدباء المجيدين . فمنهم أبو الحسن ابن سعد البلانسي وأبو أمية إسماعيل بن سعد السعود بن عفير وشرف الدين عيسى بن سليمان الطنوبي المصري وأبو الحكم بن المرحل السبتي والحافظ أبو عبدالله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي والحافظ أبو الربيع سليمان الطلاعي وعلي أبو الحسن الرعيني وعلي أبو الحسن بن أحمد الخزرجي والإمام أبو الخير محمد بن محمد الجزري والحافظ أبو عبدالله محمد بن رشيد الفهري السبتي والعلامة أحمد المقري ولهم في ذلك القصائد الطويلة المشتملة على عظيم الثناء والتوسل والتبرك بمثال نعله صلى الله عليه وسلم وليس المقصود النعال وإنما مقصود هم بذلك من لبس النعال وما المثال المكرم إلا وسيلة للقدم التي خص الله بأكمل الاوصاف صاحبها صلى الله عليه وسلم .

وَمـاَ حُبُّ النعال شغفن قلبي * ولكن حب مـن لبس النعـالا

ويرحم الله الشيخ الفاكهاني الاسكندري المالكي إذ قال حين أبصر مثال النعل النبوي :

ولو قيل للمجنون ليلى ووصلها تريد ؟ أم الدنيا وما في زواياها ؟
لقال : غبار من تـراب نعالهـا أحب إلى نفسي وأشفى لبلواها

هذا وقد ألف بعضهم رسائل خاصة في هذا الموضوع ... ومنهم الإمام العلامة الشهاب أحمد المقري الذي ألف رسالة في ذلك وسماها (فتح المتعال في مدح النعال) وليس آخرهم علامة الهند الشهير الشيخ أشرف علي التهانوي الملقب بـ (حكيم الأمة) من كبار علماء (جامعة ديوبند) الإسلامية الشهيرة في الهند حيث ألف رسالة سماها (نيل الشفا بنعل المصطفى) وقد نقل القسطلاني والمقري عن العلماء تجارب في حصول كثير من البركة من جراء مسك وحمل مثال نعاله الشريف (يراجع شرح المواهب للزرقاني على المواهب للقسطلاني - الجزء الخامس صفحة ٤٨ طبع دار المعرفة ببيروت)... وقد أطنب العلامة المقري في كتابه (فتح المتعال) المشار إليه سابقاً في تحديد الصفة المعتمدة والمثال المرجح لنعال الحبيب صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقال عن المثال الذي رجحه (وهو معتمد ابن العربي وابن عساكر وابن مرزوق والفارقي والسيوطي والسخاوي والتتائي وغير واحد من الشيوخ) وذكر اسانيدهم واسانيده (في ان نعله صلى الله عليه وسلم كانت عند السيدة عائشة رضي الله عنها ثم لم تزل تنتقل وتُحْذَى عليها نعال وعلى ما حُذِيَ عليها من النعال نعالٌ اخري ثمّ وثم الى ان رسم مثالها الشيوخ على الورق ونقلوه بالاسانيد حتى ألّف فيه جماعة منهم ابو اليمن بن عساكر ورسمه في كتابه ا.هـ . ثم رُوي كتابهُ بالاسانيد وقُرِئ بالضبط حتى وصل الى الْمَقَّري فرسمه في فتَح المتعال من نسخة اَبن عساكر المعتمدة التي عليها خطوط العلماء والحفاظ كالسيوطي والسخاوي والدّيمَي رحمهمُ الله . وممن اهتم بذلك وكتب عنه من المتأخرين العلامةَ الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله تعالى وأورد فيما كتب (قال المناوي والقاري في شرح الشمائل قال ابن العربي والنعل لباس الأنبياء وإنما اتخذ الناس غيرها لما في أرضهم من الطين . كما ذكر أن من أسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة (صاحب النعلين) لأن لباس النعال عادة العرب .

وقد صح ان نعله صلى الله عليه وسلم كانت مخصوفة اي طاقا على طاق ليس فيها شعر ولها قِبَالان . والقِبَالُ زمام النعل فكان صلى الله عليه وسلم يضع احد الزمامين بين ابهام رجله والتي تليها والآخرِ بين الوسطي والتي تليها ويجعمهما الى السَير الذي بظهر قدمه وهو الشراكُ وكان مثنًى من سَيرين . وكانت من جلود البقر مُخَصّرَةً اي لها خَصر مُلَسَّنَةً اي على هيئة اللسان مُعَقَّبَةً اي لها عقب من سيور تضم به الرجل وقال بعض الحفاظ كانت صفراء ولبس الخفين ومسح عليهما صلى الله عليه وسلم) . ا . هـ .

وبعد ذلك فليقل الشيخ ابن منيع ما يشاء .

ليلة المولد وليلة القدر

ذكر الحافظ الشيخ القسطلاني في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم مسألة المقارنة بين ليلة القدر وليلة المولد . وقد أخطأ بعض الناس في فهم المراد من ذلك فظن أن هذا معناه المقارنة بين ليلة القدر وليلة المولد النبوي المتكررة في كل عام كما فعل الشيخ ابن منيع في الصفحة (١٥) من حواره وهجومه على السيد المالكي وهذا الفهم غير وارد أصلا .. لأن المقصود بذلك (هو ليلة المولد النبوي الحقيقية) التي كانت قبل ليلة القدر بعشرات السنين وهي قد مضت وانقضت وانتهت .. وهذا القول مبني على أن ليلة القدر كانت بطلب من النبي صلى الله عليه وسلم لمآ رأى قصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار الامم السابقة فاكرمه الله تعالى بهذه الليلة وتفضل عليه وعلى الامة بها بطلبه ومراجعته فصارت ليلة مولده هي أمّ الليالي وبسببها كان كل خير وفضل .

قال الشيخ الامام القسطلاني في كتابه المواهب فان قلت :

إذا قلنا بأنه عليه السلام ولدليلا فأيهما أفضل ، ليلة القدر أو ليلة مولده صلى الله عليه وسلم .

أجيب بأن ليلة مولده صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة :ـ

أحدها : أن ليلة المولد ليلة ظهوره صلى الله عليه وسلم ، وليلة القدر معطاة له ، وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه . ولا نزاع في ذلك . فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار أفضل .

الثاني : أن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها . وليلة المولد شرفت بظهوره صلى الله عليه وسلم فيها . ومن شرفت به ليلة أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الأصح المرتضى . فتكون ليلة المولد أفضل .

الثالث : أن ليلة القدر وقع التفضل فيها على أمة محمد صلى الله عليه وسلم وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات . فهو الذي بعثه الله عز وجل رحمه للعالمين فعمت به النعمة على جميع الخلائق فكانت ليلة المولد أعم نفعا . (ا . هـ) . وهذا اجتهاد من القائل منسوب إليه ومحسوب عليه لم يقل فيه قال الله ولا قال رسول الله وإنما اجتهد برأيه وعلّل ذلك بحيثيات متعددة وأستند فيه إلى ما يبرر رأيه وهذا يحتمل الخطأ والصواب والصحة والبطلان ولا أكثر من ذلك ونحن نعتقد اعتقادا جازما لا شك فيه ولا ريب أن ليلة القدر أفضل الليالي على الاطلاق لقوله تعالى : **(إنا انزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من الف شهر)** .

إقطاع النبي صلى الله عليه وسلم أرض الجنة لمن يستحق ذلك

ذكر بعض أهل العلم في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم أنه له أن يقطع أرض الجنة لمن يستحقها من أهل التوحيد ، وممن ذكر ذلك الحافظ جلال الدين السيوطي والقسطلاني والزرقاني .

قال في المواهب وشرحه : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقطع الأراضي قبل فتحها ولذا أفتى الغزالي بكفر من عارض أولاد تميم - الداري فيما أقطعهم النبي صلى الله عليه وسلم من الأرض بالشام وقال انه صلى الله عليه وسلم يقطع أرض الجنة ما شاء منها لمن شاء فأرض الدنيا أولى ونقله عن الغزالي ابن العربي في القانون وأقره وأفتى به السبكي أيضا . كذا في المواهب للقسطلاني وشرحه للزرقاني (ج - ٥ - ص ٢٤٢) .

(أقول) هذا الاقطاع لأرض الجنة في الحقيقة لا يخرج عن حد معنى البشارة بالجنة ، فلا فرق بين البشارة بالجنة لشخص معين وبين البشارة بشيء معين كأرض أو قصر أو غرفة أو خيمة لشخص معين بل قد

جاءت شواهد كثيرة في هذا في السنة فقد بشر صلى الله عليه وسلم كثيرا بالمغفرة وبشر كثيرا بدخول الجنة وببيت في الجنة وشجر في الجنة . أما من غير تعيين الأشخاص فقد جاءت البشارات بذلك في كثير من الأحاديث بأن من فعل كذا بنى الله له قصرا في الجنة ومن فعل كذا كان له كذا في الجنة ومن فعل كذا كان له من الحور العين ، كذا الى آخر تلك البشارات التي رواها العلماء في الترغيب والترهيب للمنذري ورياض الصالحين للنووي وحادي الأرواح لابن القيم وحادي الأنام للملا .

ومعلوم أن أي شيء من هذا النوع انها ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم على جهة التكريم والتقدير لبيان فضله ومقامه عند ربه ، والا فإنه مبلغ عن الله ومخبر عن مولاه بما كتبه وقضاه ومبشر بذلك الذي أذن الله له فيه ، فاذا بشر أحدا بالمغفرة أو بشره بدخول الجنة أو بشره بأرض فيها أو بقصر فيها أو ببيت فيها وهو المسمى (بالإقطاع) فانما يخبر عن حق ويتكلم عن صدق (لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى).

فلو قال قائل انه صلى الله عليه وسلم له أن يبشر بالمغفرة أو الجنة أو بقصر فيها فهل يشك مسلم في انه صلى الله عليه وسلم لا يقدم على هذا الأمر إلا بعلم يقيني عن وحي أو الهام أو رؤيا ؟ وهو يتصور أن يكون المقصود من هذا الأمر هو التصرف الذاتي المشارك لتصرف الله سبحانه وتعالى في المنع والإعطاء والنفع والضر ؟ حاشا وكلا انه لا يوجد بين جهلة المسلمين من يعتقد ذلك ونحن نبرأ إلى الله منه خصوصا أن قائل ذلك الكلام (أعني الإقطاع في الجنة) مؤمن موحّد بالله يعرف أن محمّدا رسول الله بشر وانه عبدالله ورسوله وانه لا يملك من خصائص الربوبية شيئا وأنه لا يتصرف إلا باذن الله (إنما أنا قاسم والله معط).

هذا وقد جاء في الحديث الشريف ما يدل على اختصاصه صلى الله عليه وسلم بهذه الضمانة في الاقطاع بقوله : (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا ، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا ، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه) رواه ابو داود في باب حسن الخلق .

وقد جاء في الحديث ان الرُّبيّع ـ عمة أنس بن مالك ، كسرت ثنية جارية من الانصار فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بالقصاص ، فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك : لا والله لا تكسر ثنيتها يا رسول

الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أنس ! كتاب الله القصاص) فرضى القوم وقبلوا الأرش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرّه) متفق عليه . (مشكاة المصابيح ج ٢ ص ١٠٣٠)

فهذا الصحابي الجليل أقسم على ما لا يدري وما لا حق له فيه وما لا علم له فيه والله سبحانه وتعالى أكرمه فحقق ظنه وبلغه أمله ولم يحنثه ولم يخيبه وأبر قسمه فيما حلف عليه . فهل ترى أن ذلك لا يكون لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيما لو أقدم على شيء من أمور الدنيا أو الآخرة اعتمادا على عظيم رجائه في الله وكبير ظنه في مولاه .. خصوصا وان الله يقول : (**يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا**) . إن هذا ليس بكبير ولا كثير على صاحب المقام المحمود الذي يقول الله سبحانه وتعالى له : (**ولسوف يعطيك ربك فترضى**) والذي يقول له كما جاء في صحيح مسلم (إنا لن نخزيك في أمتك أبدا) .

وفي الحديث : (انما أنا قاسم والله معط) فبين صلى الله عليه وسلم أنه يقسّم بين عباد الله . والله تعالى يجيز تقسيمه ذلك ويوافق على عطائه ولا يخزيه فيما فعل ولا يخيبه لكرامته عنده لانه لا يتحرك ولا يخطر على باله وهواه إلا ما يرضي مولاه . وإذا كان الإيمان لا يكون كاملا في المؤمن إلا اذا كان هواه تابعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بهواه هو صلى الله عليه وسلم ؟ ونحن نرى ان الكلام في هذه المسألة يدور بين الصواب والخطأ للإختلاف في ثبوت النص بعينه على المسألة ولا صلة للايمان والكفر بهذا البحث وأمثاله .

نسأل الله أن يعرفنا مقام هذا النبي الكريم .

مقاليد السموات والأرض

وهي من الخصائص التي اشتبهت على بعض الناس فنظر إليها من زاوية الألوهية فقط دون ملاحظة لمعانيها المتعددة . كما فعل الشيخ ابن منيع في صفحة ٩ وصفحة ١٩ وصفحة ٢٢ من الحوار) .

وإننا نعتقد اعتقادا جازما لا شك فيه ولا ريب بأن مقاليد السموات والأرض هي لله سبحانه وتعالى . والآية صريحة في ذلك بقوله (**له مقاليد السموات والأرض**) فالضمير في قوله « له » يعود إلى الله سبحانه وتعالى لا شك فيه ولا ريب .

فمقاليد السموات والأرض ، إن كانت بمعنى (أنه تعالى خالق الأشياء كلها وربها ومليكها والمتصرف فيها ، وهي كلها تحت تدبيره وقهره وكلاءته) أقول : إن كانت المقاليد بهذا المعنى (فهي خاصة بالله سبحانه وتعالى لا شريك له في ذلك) وإن كانت بمعنى المفاتيح أي مفاتيح الخزائن فلا مانع أن يتفضل بها الله على من يشاء من عباده ويكرمه بها .. وقد جاء تفسيرها بهذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن كما ذكره الطبري والقرطبي في التفسير .

ويشهد لهذا ما جاء في الحديث الصحيح من أنه صلى الله عليه وسلم قال : (أوتيت مفاتيح خزائن الأرض) . وما جاء أيضا في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وابن حبان والضياء المقدسي عن جابر أن اننبي صلى الله عليه وسلم قال : (أتيت بمقاليد الدنيا) ورجاله رجال الصحيح وبذلك يسقط توهين (ابن منيع) عن (ابن الجوزي) له فإن الأخير أورد في (الموضوعات) الضعيف بل الحسن والصحيح .

ويشهد له أيضا ما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إني رأيت في غداتي هذه كأني أوتيت بالمقاليد والموازين) رواه ابن مردويه عن ابن عمر ، وذكره السيوطي في الدر المنثور .

وقد جاء عن عثمان رضي الله عنه أنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقاليد السموات والأرض فقال : (هي : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله) أخرجه أبو يعلي ويوسف القاضي وأبو الحسن القطان وابن سني في عمل اليوم والليلة ، وذكره ابن كثير وحكم بغرابته ونكارته .

وجاء عن علي أنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير المقاليد فقال : (يا علي ، لقد سألت عن عظيم ، المقاليد أن تقول عشرا إذا أصبحت وعشرا إذا أمسيت : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله). (تفسير القرطبي ج ١٥/ ٢٧٥ والدر المنثور للسيوطي ج ٥/ ٣٣٣ وتفسير ابن كثير سورة الشورى).

فمقاليد السموات والأرض بهذا المعنى قد أعطاها الله لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بل وأمثالها معها ، كما جاءت النصوص الدالة على ذلك ومهما كانت درجاتها ، فالقضية لا تنازع الربوبية في شيء ، والله سبحانه وتعالى أكبر من ذلك وأجل وأعلى وأعز .. والأمر واضح .

وقد جاء في الحديث (أن موضع سوط في الجنة هو خير من الدنيا وما فيها) وهذا يشمل السموات والأرض . فإذا كان هذا سوط واحد من أتباع محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم فكيف به عليه الصلاة ، وماذا تكون مقاليد السموات والأرض في جانب ماله من الفضل والمقام ؟!

وجاء في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن آخر أهل النار دخولا الجنة (أن الله يعطيه مثل الدنيا وعشرة أمثالها ومثله ومثله) ثم يقول صلى الله عليه وسلم : (ذلك أدنى أهل الجنة منزلة).

فلماذا إذن سوء الظن واعتبار الأمر داخلاً في (البدع والخرافات والدعوة إلى الضلال والوثنية) وأنه من (الشركيات والضلالات والمنكرات) كما جاء في الكثير من صفحات الهجوم على السيد المالكي ؟

(القبر الشريف والكعبة المشرفة)

هاجم الشيخ ابن منيع السيد الشيخ المالكي لأنه قال « إن زيارة قبره الشريف صلى الله عليه وسلم من كمال الحج وأنه ذكر عشر كرامات لزائر قبره الشريف » ولنا على المهاجم التعقيب التالي :

ذكر القاضي عياض في كتاب الشفاء أفضلية قبره صلى الله عليه وسلم على سائر بقاع الأرض .

فقال (ولا خلاف ان موضع قبره صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الأرض) اهـ الشفا . ووافق على ذلك شارح الشفا الشيخ الخفاجي فقال : (بل أفضل من السموات والعرش والكعبة كما نقله السبكي رحمه الله) اهـ من نسيم الرياض ج٣ ص ٥٣١) ونقل عن ابن عبد السلام مثل ذلك .

رأي ابن تيمية :

أما الشيخ ابن تيمية فانه لم يوافق على هذا التفضيل ولكنه نقل ذلك عن عياض ولم يرد عليه بأكثر من أن قال انه لم يوافقه أحد عليه . وهذا نص كلامه في الفتاوي .

وسئل أيضا (الفتاوي ج ٢٧ ص ٣٨).

عن رجلين تجادلا فقال أحدهما : إن تربة محمد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من السموات والأرض وقال الاخر الكعبة أفضل . فمع من الصواب ؟

فأجاب : (الحمد لله اما نفس محمد صلى الله عليه وسلم فما خلق الله خلقا أكرم عليه منه ، واما نفس التراب فليس هو أفضل من الكعبة البيت الحرام بل الكعبة افضل منه ولا يعرف أحد من العلماء فضل تراب القبر على الكعبة إلا القاضي عياض ولم يسبقه أحد اليه ولا وافقه أحد عليه .. والله أعلم).

رأي ابن القيم :

اما الشيخ الامام ابن القيم فقد نقل فتوى عن ابن عقيل ، من كبار أئمة الحنابلة ، ولم يعلق عليها بشيء ولم يردها فدل على انه موافق عليها .. وهذا نص كلامه :

(فائدة : قال ابن عقيل سألني سائل أيما افضل حجرة النبي صلى الله عليه وسلم أو الكعبة ؟ فقلت أن أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل وان أردت وهو فيها فلا والله لا العرش وحملته ولا جنة عدن ولا الافلاك الدائرة ، لأن بالحجرة جسداً لو وزن بالكونين لرجح). اهـ بدائع الفوائد ج ٣ ص ١٣٥

ابن القيم وفضل آل البيت

في كتابه (الذخائر النبوية) نقل السيد الشيخ محمد علوي المالكي عن الشيخ ابن القيم كلامه عن خصائص ال البيت النبوي . ولم يقل أبدا أن مراده بذلك آل البيت المحمدي الذين هم ذرية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . ومن زعم أن في ذلك إيهاما فقد أخطأ لأن الكلام الذي نقله يتضمن كلمات تدل بصراحة على المراد وتنفي الإيهام المزعوم . والدليل على ذلك قوله في صفحة (٢٨٦) :ـ

(وهذه الخصائص وأضعاف أضعافها من آثار رحمة الله وبركاته على أهل هذا البيت فلهذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نطلب له من الله ان يبارك عليه وعلى آله كما بارك على هذا البيت المعظم صلوات الله عليهم أجمعين ...

ومن بركاتهم أن الله أعطاهم من الخصائص ما لم يعط غيرهم فمنهم من اتخذه خليلا) (انتهى).

فان أجهل طالب علم عندنا إذا قرأ هذه الجملة يعرف من هم آل البيت الذين أراد وأورد كلام ابن القيم في حقهم .

ويكفي في فضل آل بيت النبي محمد صلى الله عليه وسلم الحديث الذي أورده الشيخ ابن القيم في جلاء الأفهام ص ١٣٨ . عن الامام مسلم صاحب الصحيح بسنده إلى زيد بن أرقم وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي) إلى آخر الحديث (ا . هـ). والحديث الذي أخرجه الترمذي وحسنه والحاكم عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما).

ثم قال ابن القيم : (فآله صلى الله عليه وآله وسلم لهم خواص منها حرمان الصدقة ، ومنها أنهم لا يرثونه ، ومنها استحقاقهم خمس الخمس ، ومنها اختصاصهم بالصلاة عليهم ، وقد ثبت أن تحريم الصدقة واستحقاق خمس الخمس وعدم توريثهم مختص ببعض اقاربه صلى الله عليه وآله وسلم . فكذلك الصلاة على آله) ا . هـ .

وقد قال الشيخ ابن تيميّة في « رسالة العقيدة الواسطية » وهو يذكر عقيدة أهل السنة ويتبرأ من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل :ـ

قال : « ويحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، حيث قال في يوم غدير خم اذكركم الله في أهل بيتي . وقال أيضا للعباس عمه ، وقد شكا إليه ان بعض قريش تجفو بني هاشم ، فقال : والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي ..

.. وقال ان الله اصطفى بني اسماعيل واصطفى من بني اسماعيل كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) ا . هـ .

وقال في كتابه « الإقتضاء » صفحة ٧١ :ـ

(ان الذي عليه أهل السنة والجماعة اعتقاد أن جنس العرب افضل من جنس العجم عبرانيهم وسريانيهم ورومهم وفرسهم وغيرهم ، وأن قريشا أفضل العرب وأن بني هاشم أفضل قريش وان رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم أفضل بني هاشم فهو أفضل الخلق نفسا ونسبا)ا . هـ.

وقال في « الاقتضاء » صفحة ٧٣ :-

(روى الترمذي عن المطلب ان العباس بن عبدالمطلب دخل على رسول الله مغضبا ، وانا عنده فقال : ما أغضبك ؟ فقال : يا رسول الله ما لنا ولقريش ، اذا تلاقوا بوجوه مبشرةً ، وإذا لقونا بغير ذلك ، قال فغضب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حتى احمر وجهه ، ثم قال : والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله الخ .

قال الترمذي ، هذا حديث حسن صحيح قال وروى أحمد في المسند مثل هذا عن المطلب بن ربيعة قال : دخل العباس على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال : يا رسول الله أنا لنخرج فنرى قريشا تتحدث فاذا رأونا سكتوا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودر عرق بين عينيه ، ثم قال : والله لا يدخل قلب امرىء ايمان حتى يحبكم لله ولقرابتي ، قال ابن تيميّة والحجة قائمة بالحديث) ا . هـ .

فليعلم ذلك الشيخ ابن منيع الذي أوهم قراءه في صفحة (١٧) من حواره أن تمجيد ومحبة آل البيت الكرام (هو مذهب الرافضة الاثنى عشرية) وليتق الله ثم يستغفره ويتوب إليه هو وكل من رضي بقوله .. وكل من أراد أن يوهم الناس بأن النبي صلى الله عليه و آله وسلم لا أهل له ولا آل فعلّق على قبره الشريف مدلساً قوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) وقد نزلت هذه الآية كما يعلمون في نفي التبني ، ولم تنزل لتنفي أن له صلى الله عليه وسلم آل بيت كرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم .

عرض الأعمال على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

في صفحة (١٥) من حواره أنكر الشيخ ابن منيع على الشيخ السيد المالكي أنه صلى الله عليه وسلم (تعرض عليه الأعمال) أي أعمال أمته ولدينا في الرد عليه الأدلة الشرعية الآتية :

قال الله تعالى : « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستَرَدّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** » .

وجاء في الأحاديث النبوية ما يدل على أن أعمال المؤمنين تُعرَض على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حَيَاتي خير لكم تُحدِثون ويُحدَث لكم ووفاتي خير لكم تُعرض عليّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شرٍّ استغفرت الله لكم » وقد قال الشيخ عبد الله سراج الدين في شرح هذا الحديث في كتابه (الايمان بعوالم الآخرة) .

فأعمال المؤمنين تعرض عليه صلى الله عليه وسلم والحكمة في ذلك كما بيّن صلى الله عليه وسلم هي أن ما كان من أعمالهم خيراً حمد الله تعالى وفرح بها وباهى بها في ذلك العالَم وما كان غير ذلك من هَنَات وسيئات استغفر الله لهم ، ولا تعارض بين هذا الحديث وبين ما جاء في حديث الحوض حيث قال صلى الله عليه وسلم : « وليرفعنَّ إليّ رجالٍ منكم حتى إذا أهويتُ إليهم لأناولهم اختلجوا دوني فأقول : أيْ ربِّ أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سُحقاً سُحقاً لمن بدّل بعدي » . كما في الصحيحين فإن هذا محمول على المرتدين الذين ارتدوا بعده صلى الله عليه وسلم عن دينهم بدليل قوله : « سحقاً لمن بدل من بعدي » وذلك أنهم كفروا بعده صلى الله عليه وسلم ، وأعمال الكفار من أمته لا تعرض عليه إذ لا فائدة لعرضها لأن الحكمة في هذا العرض فرحه ومباهاته بأعمالهم الصالحة واستغفاره لأعمالهم السيئة ، ويدلك على هذا قول عائشة رضي الله عنها كما في البخاري : « إذا أعجبك حُسن عمل امرىء مسلم » ، فقل : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

ومن جملة ما يعرض عليه صلى الله عليه وسلم ويُسرّ ويفرح به صلوات المصلين عليه صلى الله عليه وسلم .

روى ابن ماجه بإسناد جيد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا عليّ من الصلاة كل

يوم جمعة فانه مشهود تشهده الملائكة وإن أحداً لن يصلي عليّ إلا عُرضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها » قال : قلت : وبعد الموت ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » . قال الحافظ المنذري رواه أحمد وأبو داوود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه .

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حيثما كنتم فصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني »[1] . وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صلى عليّ بلغتني صلاته وصليت عليه وكُتب له سوى ذلك عشر حسنات » رواه الطبراني في الاوسط باسناد لا بأس به[2]

وقد اخرج البزار في مسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، فاذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم ، تعرض علي أعمالكم ، فما وجدت من خير حمدت الله ، وان وجدت شراً استغفرت الله لكم) صححه الحافظ العراقي في « طرح التثريب » وصححه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ، وصححه الحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى ، ونص الزرقاني في شرح المواهب اللدنية على ان اسناده جيد ، ونص كل من الشهاب الخفاجي وملا علي قاري في شرح الشفا على ان اسناده صحيح ، ولا يعارضه حديث الحوض ، فان أعمال امته الاسلامية هي التي تعرض عليه ، أما من حيل بينهم وبين الشرب وأخذوا الى جهة النار فهم من المرتدين ، أو المنافقين ، أو المصرين على الكبائر .

وهذا الحديث متواتر تواتراً معنوياً لورود معناه من حديث جماعة من الصحابة يبلغ عددهم حد التواتر وهم : (١) عبدالله بن مسعود ، ولحديثه طرق تزيد على الخمسة . (٢) وأنس بن مالك ولحديثه طرق تزيد على الستة . (٣) وأبو هريرة ولحديثه طرق تزيد على العشرة . (٤) وعمار ابن ياسر . (٥) وأبو امامة . (٦) وعلي بن أبي طالب . (٧) وابنه الحسن . (٨) وابن عباس . (٩) وأبو بكر الصديق . (١٠) وأوس بن أوس الثقفي . (١١) وأبو الدرداء . (١٢) وأبو مسعود البدري الأنصاري . (١٣) وعمر بن الخطاب . (١٤) وابنه عبدالله بن عمر .

---

(١) قال المنذري رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن . ا هـ .

(٢) راجع (الترغيب) للمنذري

وروى كذلك مرسلا عن جماعة من التابعين منهم (١) بكر ابن عبدالله المزني . (٢) والحسن البصري . (٣) وخالد ابن معدان . (٤) وابن شهاب الزهري . (٥) ويزيد الرقاشي . (٦) وأيوب السختياني .

وفي الباب آخرون كثيرون غير المذكورين من الصحابة والتابعين ، وهذا القدر كاف في اثبات التواتر المعنوي على الأقل ، خصوصا على رأي من يثبت التواتر الفعلي بسبعة أو عشرة ، وهو الذي رجحه الحافظ السيوطي وغيره .

وبذلك ثبت أن حديث عرض الأعمال هذا متواتر على جميع الاصطلاحات ، لوجود ما يزيد على العشرين في كل طبقة من طبقات رواته ، وقد تقرر في كتب الأصول ، والفقه ، والكلام ، أن منكر التواتر بعد قيام الحجة عليه يكفر .

وروى اسماعيل القاضي في (فضل الصلاة على النبي) عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله : (إذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه ، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه) .

يقول المتنطعون كذبا وزورا : هذا الحديث وان اشتهر على السنة كبار الناس وصغارهم ، فقد خلت منه جميع كتب السنة .

ويقولون : ومع هذا فان الذي رواه وقفه على (بكر ابن عبدالله المزني) ، وهو تابعي مشهور ومع ذلك لم يذكر فيه الصحابي أحد من رواة السنة لا في صحيح الكتب ولا في ضعيفها ، وهو منقطع ، لا يصلح للاحتجاج به .

وقد كتب المحدث الثبت الشيخ عبدالله الصديق ما ملخصه : (في كتاب قضايا الوسيلة) :

اقول : والحديث المذكور حديث صحيح ، ولا مطعن فيه ولا مغمز ، ورد من حديث ابن مسعود وأنس بن مالك ، ومن مرسل بكر بن عبدالله المزني .

اما حديث ابن مسعود رضي الله عنه فخرجه البزار في مسنده ، قال حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا عبدالمجيد ابن عبدالعزيز بن أبي دؤاد ، عن سفيان عن عبدالله ابن السائب ، عن زاذان ، عن عبدالله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان لله ملائكة سياحين يبلغونني عن

أمتي السلام ، قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حياتي خير لكم ، تحدثون ويحدث لكم ، ووفاتي خير لكم ، تعرض علي أعمالكم ، فما رأيت من خير حمدت الله ، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم) قال البزار لا نعلمه يروي عن عبدالله الا بهذا الاسناد ا هـ .

قال الحافظ العراقي في كتاب الجنائز ، من « طرح التثريب في شرح التقريب » اسناده جيد ، وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » والمحدث القسطلاني في « شرح البخاري » رجال اسناده رجال الصحيح ، وقال الحافظ السيوطي في كتاب « المعجزات والخصائص » اسناده صحيح ، وكذا قال علي القاري والشهاب الخفاجي ، في أول شرحيهما على « الشفا » .

وأما حديث أنس فرواه الحرث بن أبي اسامة في مسنده ، وابن عدي في « الكامل » من طريق خراش عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، فاذا أنا مت كانت وفاتي خيرا لكم ، تعرض علي أعمالكم ، فان رأيت خيرا حمدت الله ، وأن رأيت غير ذلك استغفرت لكم).

قال الحافظ العراقي في « المغني » اسناده ضعيف لضعف خراش هـ قلت لكن له طريق آخر ، قال الحافظ أبو نصر الحسن بن محمد بن ابراهيم اليونارتي الأصبهاني ، في معجمه ، سمعت الشريف واضح بن أبي تمام الزينبي يقول : سمعت ابا علي بن تومة يقول ، اجتمع قوم من الغرباء عند أبي حفص بن شاهين ، فسألوه أن يحدثهم أعلى حديث عنده ، فقال لأحدثنكم حديثا من عوالي ما عندي ، حدثنا عبدالله ابن محمد البغوي ، حدثنا شيبان بن فروخ الأيلي ، حدثنا نافع أبو هرمز السجستاني ، سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (حياتي خير لكم) الحديث .

وأخرجه ابن النجار في تاريخ بغداد عن معمر بن محمد الأصبهاني ، عن الحافظ أبي نصر اليونارتي به ، وهذا اسناد ضعيف أيضا لاتفاقهم على ضعيف أبي هرمز (ولكنه مجبور).

وعن أنس حديث آخر أخرجه ابو نعيم في « الحلية » قال حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر حدثنا احمد بن عيسى ابن ماهان الرازي حدثنا محمد بن مصفي ، حدثنا بقية ، حدثنا عباد بن كثير عن عمران ـ وهو القصير ـ عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن

أعمال أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة واشتد غضب الله على الزناة).
واما مرسل بكر بن عبدالله المزني فأخرجه الحرث ابن أبي أسامة في مسنده قال حدثنا الحسن بن قتيبة ، حدثنا جسر بن فرقد عن بكر بن عبدالله المزني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، ووفاتي خير لكم ، تعرض علي أعمالكم ، فما كان من حسن ، حمدت الله وما كان من سيء استغفرت الله لكم) اسناده ضعيف ، لضعف الحسن بن قتيبة (وهو مجبور بالمتابعات والشواهد وغيرها).
لكن خرجه اسماعيل القاضي المالكي من طريق آخر فقال حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن غالب القطان عن بكر بن عبدالله المزني به مرفوعا ، وهذا اسناد صحيح ، صححه الحافظ ابن عبدالهادي مع تعنته ، وقال أيضا ، حدثنا حجاج بن المنهال حدثنا حماد بن سلمة عن كثير أبي الفضل ، عن بكر بن عبدالله به مرفوعا ، وهذا اسناد صحيح أيضا .
وفي الباب عن سعيد الشامي والد عبدالعزيز قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا واشراقا فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم) رواه الحكيم الترمذي في (نوادر الأصول) من طريق عبدالغفور بن عبدالعزيز بن سعيد الشامي ، عن أبيه عن جده ، وكانت له صحبة ، وهذا اسناد ضعيف لضعف عبدالغفور وعن مجاهد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انكم تعرضون على بأسمائكم ومسماكم فأحسنوا الصلاة علي) أخرجه عبدالرزاق .
وبالجملة فالحديث صحيح لا مطعن فيه[1] وهو يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أعمالنا ، بعرضها عليه ويستغفر الله لنا على ما فعلنا من سيء وقبيح ، وقد أخبر الله في القرآن أن النبي صلى الله عليه وسلم شهيد على أمته ، وذلك يقتضي أن تعرض أعمالهم عليه ، ليشهد على ما رأى وعلم ، قال ابن المبارك : أخبرنا رجل من الأنصار عن المنهال بن عمرو ، أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : (ليس من يوم الا يعرض

(١) وذلك انه كلما وجد سند ضعيف وجد بجواره سند صحيح ، وجاء الضعيف من طريق آخر يرفعه الى رتبة الحسن الماخوذ عند العلماء اجمعين خصوصا بعد ثبوت اعتضاده بما في بابه ومعناه وبهذا ذهب ضعف الباب مرفوعا ومرسلا ومعتضدا .

فيه على النبي صلى الله عليه وسلم أمته غدوة وعشيا ، فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم ، فلذلك يشهد عليهم ، ويقول الله تعالى : (**فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا**) أهـ .

وقال القرطبي في التذكرة (باب ما جاء في شهادة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته) ثم أورد أثر سعيد بن المسيب السابق ، ثم قال : قد نقدم ان الأعمال تعرض على الله كل يوم أثنين وخميس وأنها تعرض على الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة ، قال ولا تعارض فانه يحتمل أن يخص نبينا بما يعرض عليه كل يوم ويوم الجمعة مع الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام . أ هـ .

وروى الطبراني باسناد ضعيف ، عن ابن عباس قال لما نزلت (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا) وقد كان أمر عليا ومعاذا أن يسيرا الى اليمن فقال : (انطلقا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا) فانه قد أنزل عليّ : (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا على أمتك ، ومبشرا بالجنة ، ونذيرا من النار ، وداعيا الى شهادة الا اله الا الله باذنه ، وسراجا منيرا بالقرآن) فالقرآن كما ترى يؤيد حديث عرض الأعمال ويعضده .

فان قيل : قد أخبر الله تعالى عن هذه الأمة أنها تشهد على غيرها ، ولم يرد في حديث ولا في أثر أن أعمال الأمم تعرض عليها .
فالجواب من وجهين :

الأول : ان عرض الأعمال مما خص به نبينا عليه الصلاة والسلام ، كما خص في قبره بحياة أكمل من حياة الشهداء ، وبأن جسده لا يبلى .

الثاني : أنه ورد في الصحيحين أن هذه الأمة تشهد على اخبار نبيها وكلامه ، وذلك أنها اذا شهدت بأن الأنبياء بلغوا اممهم ، فيقال وما علمكم ؟ فتقول أخبرنا نبينا أن الرسل قد بلغوا فصدقناه ، وهكذا صح في الحديث وهو واضح لا خفاء به .

فان قيل : فما تقول فيما رواه الطبراني وغيره عن محمد ابن فضالة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر قارئا يقرأ ، فلما بلغ قوله تعالى : (**فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد**) الآية . بكى حتى اضطرب لحياه ، وقال : (أي رب شهدت على من أنا بين ظهرانيه فكيف بمن لم ار) فربما يفهم بعض الجهلة من هذا أنه ينفي عرض الأعمال .

قلت هذا الحديث مؤيد لعرض الأعمال لا ناف له ، بل هو أحد

الأسباب التي لأجلها أكرم الله نبيه بهذه الخصوصية حتى تكون شهادة على أمته ، عن مشاهدة وعيان ، كما أكرمه بعرض أمته مع الأمم الأخرى عليه ، وهو في المدينة كما ثبت في الصحيحين .

اما أن الحديث خلت منه جميع كتب السنة فهذا كذب وجهل ، فان الحديث موجود في كثير من كتب السنة كطبقات ابن سعد ، ومسند البزار ، ومسند الحارث ، وتاريخ ابن النجار ، وطرح التثريب للحافظ العراقي ، وبغية الباحث بزوائد مسند الحارث ، ومجمع الزوائد كلاهما للحافظ الهيثمي والجامع الصغير والجامع الكبير ، والخصائص الكبرى الثلاثة للحافظ السيوطي ، وشرح البخاري للقسطلاني ، وكنز العمال للمتقي الهندي وغيرها .

اما عن راوية وقفه علي بكر بن عبدالله المزني فهذا خط ناشيء عن جهل ، فان مثل هذا لا يسمى موقوفا ، ولا يمكن أن تنطبق عليه حقيقة الموقوف ، بحال من الأحوال ، وانما تنطبق عليه حقيقة المرسل لا غير .

اما أنه لم يذكر فيه الصحابي أحد من رواة السنة لا في صحيح الكتب ولا في ضعيفها فكذب مبني على جهل ، فان الحديث وارد من طريق ابن مسعود وأنس .

وورد معناه من طريق سعيد الشامي ومجاهد كما تقدم كل ذلك ، بل وصلت طرقه الى عشرين طريقا فانتفى القول بضعفه ، فهو صحيح من كل وجه . ا . هـ . فهل يجوز بعد ذلك لعالم أو طالب على إنكار هذه الحقيقة الشرعية ؟!

عرض الأعمال على الأقارب والعشيرة في البرزخ

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عند آية : « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** » الآية . قال : وقد ورد أن أعمال الأحياء تعرض على الأموات من الاقرباء والعشائر في البرزخ ثم أورد حديث أبي داوود الطيالسي بإسناده عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم فإن كان خيراً استبشروا به ، وإن كان غير ذلك قالوا : اللهمَّ ألهمهم أن يعملوا بطاعتك » . ثم أورد حديث الإمام أحمد بإسناده عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن

أعمالكم تُعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيراً استبشروا به ، وإن كان غير ذلك قالوا : اللهمَّ لا تُمتهم حتى تهديهم كما هديتنا » .

وروى الامام ابن المبارك بإسناده عن أبي الدرداء أنه كان يقول : إن أعمالكم تعرض على أمواتكم فيُسرون ويساءون ثم يقول : اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً اخزى به عند خالي عبدالله بن رواحة .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تُعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله تعالى وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضاً وإشراقاً فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم » أورده في الجامع الصغير وقال رواه الحكيم الترمذي عن والد عبد العزيز رامز الحسنة

وأورد أبو عبدالله القرطبي بإسناده الى سعيد بن المسيّب أنه قال : ليس يوم إلا تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم أمَّته غدوةً وعشية فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم . ا هـ .

قال أبو عبدالله ولا تعارض ـ أي بين ما جاء عن سعيد وبين ما تقدَّم فإنه يحتمل أن يُخصّ نبينا بما يعرض عليه كل يوم ويوم الجمعة مع الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام . ا هـ من تفسير ابن كثير .

ومن خير ما نختم به ردنا على انكار الشيخ ابن منيع وشيعته لهذه الحقيقة الشرعية قول الحافظ زين الدين بن رجب الحنبلي المتوفي سنة ٧٩٥هـ في كتابه المشهور (لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف) في صفحة (٩١) من طبعة (دار الجيل ـ بيروت) . « أعمال الأمة تعرض على نبيها في البرزخ فليستح عبد أن يعرض على نبيه من عمله ما نهاه عنه).

(فبأي حديث بعده يؤمنون)؟!

« الفصل التاسع »

المفهوم الصحيح

للسنة والبدعة

سبق أن وعدت في مقدمة هذا الكتاب بإفراد فصل خاص للحديث عن (السنة والبدعة) لأنه بسبب الفهم الخاطىء للسنة والبدعة والأحاديث النبوية الشريفة يثور كل هذا الغبار التي يلبس ثوب التبديع والتشريك والتكفير لأهل القبلة وأهل التوحيد من مخالفي بعض المشايخ وشيوخهم كما حصل من كل من الشيخين ابن منيع والتويجري بخاصة ومن معهم بعامة ، ولذلك رأيت أن أضمن كتابي هذا بحثا قيماً في هذا الموضوع الخطير المختلف فيه وجدته وتسلمته من يد مؤلفه السيد عبد الله بن محفوظ باعلوي الحسيني الحضرمي رئيس القضاء الشرعي بحضرموت سابقا مخطوطاً . وأسأل الله تعالى أن يوفقه لنشره كاملاً وقد اختصرت منه قبسات وفقرات فيها الفائدة والنفع إن شاء الله تعالى لمن كان له قلب أو ألقى السميع وهو شهيد .

« السنة والبدعة »

السنة والبدعة أمران متقابلان في كلام صاحب الشرع صلى الله عليه وآله وسلم فلا يتحدد احدهما الا بتحديد الآخر بمعنى انهما ضدان (وبضدها تتبين الاشياء) وقد جرى كثير من المؤلفين الى تحديد البدعة دون ان يقوموا بتحديد السنة اولا لأنها الاصل ، فوقعوا في ضيق لم يستطيعوا الخروج عنه واصطدموا بادلة تناقض تحديدهم للبدعة ولو انهم سبقوا الى تحديد السنة لخرجوا بضابط لا يتخلف . والرسول صلى الله عليه وآله وسلم حث على السنة اولا ثم حذر من مقابلها البدعة كما ترى في الاحاديث الآتية :

١ ـ حديث جابر عند مسلم (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته : ويقول اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) . وقد اخرجه البخاري موقوفا على ابن مسعود .

٢ ـ يوضحه حديث العرباض عند ابي داود والترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجة وغيره : (وعظنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب ودرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فاوصانا فقال : اوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشي . وانه من يعش بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة) .

٣ ـ يوضحه ايضا حديث جرير عند مسلم (من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرْها ووز من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شيء) ومثل هذه الاحاديث احاديث اخرى تدور حولها منها حديث ابن مسعود عند مسلم (من دل على خير فله مثل اجر فاعله) . وحديث ابي هريرة عند مسلم (من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص من اجورهم شيء ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم ..) الخ فانت ترى في الحديث الأول مقابلة المحدثة والبدعة بالهدى النبوي وان هدى الرسول هو خير الهدى والشر في المحدث المناقض لهديه فهو البدعة .

وفي الحديث مقابلة واضحة ـ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء .. الخ واياكم ومحدثات الامور فأن كل محدثة بدعة . وفي الحديث الثالث السنة الحسنة مقابل بالسنة السيئة ـ من سن سنة حسنة . ومن سن سنة سيئة اذا فالسنة اولا وهي الأصل وما خرج عنها فهو البدعة فما هي السنة التي جاءت في حديث العرباض التي قابلها في الحديث بالبدعة .

السنة في لغة العرب والشرع هي الطريقة وهي هدى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حديث جابر ومنه قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتتبعن سنن من قبلكم ـ **أى طريقتهم** ـ وهو حديث صحيح مشهور كقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة الى قوله ومن سن في الاسلام سنة سيئة أي طريقة

كما سبق . فطريقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هديه وقبوله ورده هي السنة وهي أيضا مفسرة بذلك في حديث جرير . سنة حسنة وسنة سيئة يعني طريقة حسنة او طريقة سيئة ولا يحتمل غير ذلك **فليس المراد اذاً ما يفهمه عامة الطلاب فضلا عن العوام انها الحديث النبوي او ما يقابل الفريضة فان الاول مصطلح المحدثين والثاني مصطلح الفقهاء والاصوليين وكلاهما محدث ليس مراداً هنا . فسنة الرسول هي طريقته في الفعل والامر والقبول والرد وهي طريقة خلفائه الذين سلكوا طريقته في الفعل والامر والقبول والرد** اذاً فما أحدث لا بد من عرضه على سنة الرسول وطريقته في القبول والرد قال الراغب الاصفهاني في مفردات القرآن في مادة سنن صفحة ٢٤٥ ما نصه فالسنن جمع سنة وسنة الوجه طريقته وسنة النبي صلى الله عليه وسلم طريقته التي كان يتحراها وسنة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته نحو : (سنة الله التي قد خلت من قبل) (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلاً) ، فتبيينه ان فروع الشرائع وان اختلفت صورها فالغرض المقصود منها لا يختلف ولا يتبدل وهو تطهير النفس وترشيحها للوصول الى ثواب الله وجواره ا هـ بحروفه وقال الحافظ ابن تيمية في كتابه الاقتضاء ما نصه : (وسنة الجاهلية : كل عادة كانوا عليها فان السنة هي العادة وهي الطريق التي تتكرر لتتسع لانواع الناس مما يعدونه عبادة اولا يعدونه عبادة) ا.هـ ص ٧٦ .

وقال الحافظ في الفتح عند تفسير الفطرة في خصال الفطرة قال : والتعبير في بعض روايات الحديث بالسنة بدل الفطرة يراد بها الطريقة لا التي تقابل الواجب وقد جَزم بذلك ابو حامد والماوردي وغيرهما وقالوا هو كالحديث الآخر (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء) .. الخ) . فاذا تأكدنا من مجموع هذه النصوص والنقول ان المراد بالسنة التي قابلها الرسول بالبدعة هي (الطريقة) فعلينا ان نتعرف سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما احدث في زمنه صلى الله عليه وآله وسلم مما لم يكن فعله قولا ولا امر به امرا خاصاً ولكن فهمه من اجتهد وعملوه وعلينا ان نتتبع ذلك لنعرف طريقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في القبول والرد وهذا التتبع سيعطينا حكما يقينا لسنته فيما

(١) راجع فتح الباري ص

يحدث من امور الخير بعده فما وافق سنته فهو من السنة وما خالف سنته وهديه فهو من البدعة ومنها سنعرف ما يريد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في قوله (من دعا الى هدى ومن دعا الى خير ومن دعى الى ضلاله) في الاحاديث الصحيحة التي سبق وان سقناها من الصحيح ، ونعرف ما يجب ان يقبل وما يجب ان يرد وسوف يتميز عندنا ما كان من السنة وما كان من البدعة ثم نتتبع بعد ذلك الانواع التي حدثت في عهد الخلفاء لنعرف طريقتهم كذلك صورا من الانواع التي ردها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .. قد يقول قائل ان ما اقره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يكون سنة باقراره له ونقول نعم هو كذلك ولا شك ولكنه ايضا دليل هادٍ الى تعرف سنة الرسول وطريقته في القبول اذ كثير مما اقره لم يصبح سنة ولم يقل احد بانه سنة لأن عمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو الافضل والاحرى بالاتباع ولكنه يعطينا صورة واضحة في انه صلى الله عليه وآله وسلم لا يرد شيئا من الخير الذي جاء به اذا لم يصادمه نصا ولم تترتب عليه مفسده ولا يعارض هديه صلى الله عليه وآله وسلم لكنه من الخير الذي جاء به وهذا معنى قول العلماء ان ما شهد له شاهد من الشرع بالطلب خاصا او عاما ليس من البدعة وان لم يكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فعله بخصوصه او امر به امرا خاصا فهذه طريقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما سنراها في عشرات من الاحاديث الصحيحة والحسنة ، وكذلك كان خلفاؤه الراشدون وصحابته الكرام الهداة المهديون وسنورد ادلة كثيرة من افعالهم وهي سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ومن مجموع الادلة للانواع التي قبلها صلى الله عليه وآله وسلم لأنها في جنس المشروع وما رده صلى الله عليه وآله وسلم لانه ليس من جنس المشروع او فيه تشدد ورهبانية لم يرد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لامته الاخذ بها رفقا بهم او لانه يخالف نصا في الشريعة ليتضح تماما ما هي السنة وما هي البدعة فاليك اولا انواعا كثيرة مما قبله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من صحابته ولم يكن فعله هو بل ربما يرى ان فيه مخالفة لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولكنه من المشروع .

« الادلة التي توضح سنة الرسول صلى الله عليه و آله وسلم فيما يحدث »

اعلم يا اخي هدانا الله واياك الى الحق والصراط المستقيم ان هناك احاديث جمة جلها في الصحيح او من الصحيح تثبت ان عددا من الصحابة احدثوا اعمالا واذكارا وادعية ونحو ذلك لم يسبق للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فعلها او الامر بها ولكنهم فعلوها استنباطا واعتقادا انها من الخير الذي جاء به الاسلام ورسول الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم وحث على مثله عموما تحت مظلة قوله تعالى (**وافعلوا الخير لعلكم تفلحون**) . وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء) كما سبق . وهذا الحديث وان ورد في الصدقة فان القاعدة الاصولية المجمع عليها (ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) وليس معنى ذلك ان لكل أحد أن يشرع فان الاسلام محدود القواعد والضوابط فلّا بد ان يكون ما يسنه محفوظا بقواعده وضوابطه وشواهده . من هذا المنطلق . فعل كثير من الصحابة باجتهاداتهم امورا فكانت سنة الرسول وطريقته قبول ما كان من العبادة والخير ويتفق مع المشروع ولا يخالفه ورد ما كان مخالفا لذلك . فهذه سنته وطريقته التي سار عليها خلفاؤه وصحابته واقتبس منها العلماء رضوان الله عليهم قولهم ان ما يحدث يجب ان يعرض على قواعد الشريعة ونصوصها فما شهدت له الشريعة بالحسن فهو حسن مقبول وما شهدت له الشريعة بالمخالفة والقبح فهو المردود وهو البدعة المذمومة . وقد يسمون الأول (بدعة حسنة) من حيث اللغة باعتباره مخدث والا فهو في الواقع ليس ببدعة شرعية بل هو (سنة مستنبطة) ما دامت شواهد الشريعة تشهد لها بالقبول . وعلى هذه البدعة اللغوية يحمل قول سيدنا عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح (نعمت البدعة) وانما انكر من انكر البدعة الحسنة لاخذه بظاهر الحديث وظاهر لفظ البدعة حتى لقد تجرأ بعضهم في الرد على الخليفة الراشد عمر فقال عند قوله (نعمت البدعة) . قال ليس في البدعة حسن . ولنترك هذا الآن لنورد الشواهد التي اشرنا اليها من عمل الصحابة وتصرف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم معهم فمن شواهد القبول وهذا الفصل معقود لها :ـ

١ ـ **الحديث الأول** ما رواه البخاري ومسلم والامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه ان نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لبلال عند صلاة الفجر يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الاسلام . فاني سمعت دَفَّ نعليك في الجنة ، قال ما عملت عملا ارجى عندي اني لم اتطهر طهوراً في ساعة من ليل او نهار الا صليت بذلك الطهور ما كتب لي . وفي حديث الترمذي وقال حسن صحيح قاله لبلال بم سبقتني الى الجنة ؟ قال ما أذنت قط الا صليت ركعتين ، وما اصابني حدث قط الا توضأت ورأيت ان لله علي ركعتين . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها نلت ـ اي تلك المنزلة ـ ورواه الحاكم ، وقال صحيح على شرطهما واقره الذهبي .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح . يستفاد منه جواز الاجتهاد في توقيت العبادة لأن بلالا توصل الى ما ذكره بالاستنباط فصوبه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم[١] ومثل هذا حديث خباب في البخاري وفيه وهو اول من سن الصلاة لكل مقتول صبرا ركعتين[٢] فهذه الاحاديث صريحة في ان بلالاً وخبابا اجتهدا في توقيت العبادة ولم يسبق من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم امرا ولا فعلا الا الطلب العام . وان الصلاة خير موضوع فاقلل منها أو استكثر كما في الحديث فلو ان احدا اراد ايقاعها في الاوقات المنهي عن الصلاة فيها لكانت بدعة عند من يرى عموم النهي وغير بدعة عندما يرى تخصيص النهي بالنفل المطلق ومع ان الشافعية رحمهم الله يرون تخصيص النهي بغير المؤقت وذي السبب فانهم اختلفوا في سنة الوضوء فالامام الغزالي يمنع فعلها فيه ويقول يتوضأ ليصلي وليس يصلي لأنه توضأ فليست بذات سبب ولكل نهجه وفهمه واستدراكه رضوان الله عليهم اجمعين .

٢ ـ **الحديث الثاني** ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما في كتاب الصلاة في باب ربنا لك الحمد . عن رفاعة بن رافع قال كنا نصلي وراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه : فلما انصرف قال من المتكلم قال انا قال رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها . قال الحافظ في الفتح يستدل به على جواز

---

(١)انظر فتح الباري ص ٢٧٦ جـ ٣ (٢) ص ـ ٣١٣ ح ٨

احداث ذكر في الصلاة غير مأثور اذا كان غير مخالف للمأثور وعلى جواز رفع الصوت بالذكر ما لم يشوش . ومثله ما رواه الصَنعْائي عبدالرزاق في المصنّف عن ابن عمر قال : ان رجلا والناس في الصلاة . فقال حين وصل الى الصف الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا . فلما قضى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاته قال من صاحب الكلمات قال الرجل انا يا رسول الله . والله ما اردت بهن الا الخير . قال : لقد رأيت ابواب السماء فتحت لهن . قال ابن عمر فما تركتهن منذ سمعتهن . ورواه النسائي في باب القول الذي يفتتح به الصلاة الا انه قال لقد ابتدرها اثنا عشر ملكا . وفي رواية اخرى فيه قال عجبت لها وذكر كلمة معناها فتحت لها ابواب السماء وفيه قال ابن عمر ما تركته منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوله . والحديث في صحيح مسلم[١] فانظر وفقنا الله واياك الى الحق - كيف اقر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم زيادة ذكر لم يؤثر عنه في الاعتدال وزيادة ذكر لم يؤثر عنه في افتتاح الصلاة وقر فاعليها باعلا درجات الاقرار والرضاء ذلك لأن الموضوعين من مواضع الثناء على الله في الصلاة . انظر هذا مع قول بعض المتحذلقين ان القنوت في صلاة الفجر بدعة مع ان اصله مأثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وان شغبوا في حديث انس ومأثور عن بعض الصحابة . وروى عبدالرزاق عن ابن جريح عن عطاء قال قلت له القنوت في ركعتي الجمعة قال لم اسمع بالقنوت في المكتوبة الا في الصبح وليس من غرضنا بحث موضوع القنوت وسنيته بل لنرى تشددهم في البدعة حتى في الدعاء في مواضع الدعاء في الصلاة فان هذه الاحاديث التي اشرنا اليها تبين ان ما كان من دعاء في موضع الدعاء في الصلاة من السنة وليس من البدعة في شيء لاقرار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للصحابة بذلك فهو من جنس المأثور وما كان كذلك فهو من السنة وان كان غير وارد بلفظه فكيف لو كان لفظه مأثورا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومحله ايضا مأثورا في الصلاة . وما يقال

---

(١) والحديث في مسلم والنسائي وابو داود عن انس وحديث رافع الدرقي عند ابي داؤود ايضا . وفي ابي داؤود عن عبدالله بن عامر وعن ابيه قال عطس شاب من الانصار خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في الصلاة . فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه حتى يرضى ربنا من امر الدنيا والآخرة فلما انصرف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . قال من القائل الكلمة وفيه فقال صلى الله عليه وآله وسلم فما تناهت دون عرش الرحمن تبارك وتعالى .

في القنوت يقال في الجهر بالبسملة مع ثبوته فان المشاغبة فيه لانزال من هؤلاء المتحذلقين(١) مع ان الواحد منهم يقرأ الفاتحة ولا يقرأ البسملة او على الاقل لا يجهر بها فاذا قرأ بعدها سورة جهر بالبسملة في أولها ياللعجب اليست الفاتحة سورة من سور القرآن مصدره بالبسملة في اولها وليتهم يعملون في انفسهم ولا ينكرون.

والمقصود ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اقر الصحابيين على احداث اذكار في الصلاة لم تكن مأثورة عنه وهذا موضع الاستدلال كما سبق وانه كان اجتهادا واستنباطا منهما.

٣ ـ **الحديث الثالث** ما رواه البخاري في باب الجمع بين السورتين في الركعة. من كتاب الصلاة عن انس رضي الله عنه قال كان رجل من الانصار يؤمهم في مسجد قباء كلما قرأ افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله احد حتى يفرغ منها ثم يقرأ سورة اخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه اصحابه فقالوا انك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى انها تجزئك حتى تقرأ باخرى فإمّا أن تقرأ بها واما ان تدعها وتقرأ باخرى فقال ما انا بتاركها ان احببتم ان اؤمكم فعلت وان كرهتم تركتكم وكانوا يرون أنه من افضلهم وكرهوا ان يؤمهم غيره فلما اتاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم اخبروه الخبر فقال: يا فلان ما يمعنك ان تفعل ما يأمرك بها اصحابك وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟

فقال اني احبها فقال النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» حبك اياها ادخلك الجنة ـ صلى الله عليك يا رسول الله. وأين من هديك هؤلاء المبّدعة؟

قال الحافظ في الفتح. قوله ما يمنعك وما يحملك سأله عن امرين فاجابه بقوله اني احبها وهو جواب عن السؤال الثاني مستلزم للاول بانضمام شيء اخر اليه وهو اقامة السنة المعهودة في الصلاة. فالمانع مركب في المحبة والامر المعهود والحامل له على الفعل المحبة وحدها ويوحي الى ان في فعله زيادة على فعل النبي

---

(١) احاديث انس في القنوت قالوا إنها مضطربة وابن القيم يقول إنها كلها ثابتة وقد اخذ الامام الشافعي بحديث انس (اما في الصبح فلم يزل يقنت حتى فارق الدنيا) ومثل حديث انس في القنوت حديث في البسملة فيها نفس الاضطراب بل اشد لأنه في الطريق الواحد كما ذكر ابن عبد البر. والتباس اثباتها والجهر بها في البسملة كالجهر بها في بقية السور والفعل مقدم على الترك والاثبات مقدم على النفي وهذا معلوم ومقرر في الاصول وراجع تنوير الحوالك نقلاً عن التمهيد ص ٧٨ و ٧٩.

صلى الله عليه وآله وسلم . فدل تبشيره بالجنة على الرضاء بفعله قال ناصر الدين ابن المنير في هذا الحديث . « ان المقاصد تغير احكام الفعل لأن الرجل لو قال : « ان الحامل له على اعادتها انه لم يحفظ غيرها مثلا لامكن أن يأمره بحفظ غيرها لكنه اعتل بحبها فظهر صحة قصده فصوبه » . قال : وفيه دليل على جواز تخصيص بعض القرآن بميل النفس اليه والاستكثار منه ولا يعد ذلك هجرانا لغيره ومع هذا التقرير من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتبشير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم له بالجنة لم نجد من العلماء ولا من الصحابة قبلهم من يقول بان فعله هذا سنة ثابتة ذلك لأن ما واظب عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي تنبغي المحافظة عليه ولكنه يعطينا الدليل على ان مثل هذا وان كان في صورته مخالفة لفعل الرسول في الجملة فان الامر واسع لا كما يظن المتفيقهون وما دام الفعل في اطار المشروع والمطلوب .

٤ ـ **الحديث الرابع** روى البخاري من كتاب التوحيد عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لاصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله احد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال سلوه لأي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن وانا احب ان أقرأ بها فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اخبروه ان الله يحبه . ومثله في مسلم فالحديث متفق عليه . قال الحافظ في الفتح : « قال ابن دقيق العيد هذا يدل على انه كان يقرأ بغيرها في كل ركعة وهذا هو الظاهر . ويحتمل ان يكون المراد انه يختم بها آخر قراءته فيختص بالركعة الاخيرة ا . هـ . اي وكلا الامرين لم يعهد فعله من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع ذلك اقره باعلا درجات الاقرار وهو التبشير بمحبة الله له[1] ا . هـ ومع كل هذا فلم نعلم ان احدا من العلماء قال باستحباب ذلك افتتاحا كالحديث السابق ولا اختتاما كما هنا لأن ما واظب عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو الافضل ولكن اقراره لمثل هذا يوضح سنته صلى الله عليه وآله وسلم في قبول ما كان مثل ذلك من اوجه الطاعات والعبادات ولا يعتبر مثله حدثا مذموما كما يتسابق المتشددون الى التبديع والتضليل في

---

(١) انظر فتح الباري ص ١٢٥ جـ ١٧ .

افعاله . هذا وظاهر من سياق الحديثين (هذا والذي قبله) أنهما قضيتان فحديث انس الاول فيه ان الفاعل لتخصيص هذه السورة إمام قومه في مسجد قباء وفي حديث عائشة كان امير سرية ، وان هذا كان يختتم بقل هو الله احد وذاك كان يفتتح بها ، وهذا بشره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بحب الله له وذاك بشره بالجنة فالتعدد فيهما واضح لا يحتمل الجمع ولا التأويل .. والاحاديث التي مرت كلها في الصلاة كما ترى وهي اهم اعمال العبادات البدنية وفيها قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « صلوا كما رأيتموني أصلي » ومع ذلك قبل هذه الاجتهادات لانها لا تخرج عن الهيئة التي حددها الشارع . فكل حد لا بد من الالتزام به وما عدى ذلك فالامر متسع ما دام داخل في الاصل المطلوب . هذه هي سنة الرسول وطريقته وهذا في غاية الوضوح ويؤخذ منها ما اصله العلماء ان كل عمل يشهد له الشرع من الطلب ولم يصادم نصا ولا تترتب عليه مفسده فليس داخل في حدود البدعة بل هو من السنة وان كان غيره افضل فالعبادات فيها الفضول وفيها الفاضل ولا يعاب ولا يبدع من استروح شيئا منها ما دام الاصل عبادة . والآن نأتي على شيء من الاجتهادات التي اقرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في غير الصلاة لترى كيف أقرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو :

٥ ـ **الحديث الخامس** : حديث الرقية . وقدرواه البخاري في اكثر من موضع من صحيحه وهذا نصه في باب النفث في الرقية (**عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رهطا من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم انطلقوا في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من احياء العرب فاستضافوهم فابوا ان يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء ، فقال بعضهم لو أتيتم هؤلاء الرهط الذي نزل بكم لعله ان يكون عند بعضهم شيء فأتوهم فقالوا : يا ايها الرهط ان سيدنا لدغ فسعينا له بكل شيء فهل عند احدا منكم شيء ؟ فقال بعضهم نعم والله اني لراق ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما انا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق فجعل تيفل ويقرأ الحمد الله رب العالمين حتى لكأنما نشط من عقال فانطلق يمشي ما به قلبة**

فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم اقسموا ، وقال الذي رقىٰ لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنذكر له الذي كان فننتظر ما يأمرنا به فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكروا له فقال : وما يدريك انها رقية اصبتم اقسموا وأضربوا لي معكم بسهم . قال الحافظ في الفتح في كتاب الاجارة . قوله وما يدريك الخ هي كلمة تقال عند التعجب من الشيء وتستعمل في تعظيم الشيء ايضا وهو لائق هنا . زاد شعبه في روايته ولم يذكر نهيا اي من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزاد سليمان بن قند في روايته بعد قوله وما يدريك انها رقية ؟ فقلت يا رسول الله بشيء ألقي في روعي ا هـ . وهذا صريح في ان الصحابي لم يكن عنده علم متقدم بمشروعية الرقي بالفاتحة ولكنه شيء فعله باجتهاده ولما لم يكن فيه مخالفة للمشروع اقره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأن هذه سنته وطريقته في اقرار ما كان من الخير ولا تترتب عليه مفسده وان لم يكن من عمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نصا - وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد اصبتم اقسموا واضربوا لي معكم بسهم كأنه اراد المبالغة في تأنيسهم كما قال الحافظ .

٦ - **الحديث السادس** : وقد وقعت للصحابة قصة اخرى في رجل مصاب في عقله فقرأ عليه بعضهم فاتحة الكتاب فبرأ اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي من طريق خارجه بن الصلت عن عمه انه مر بقوم وعندهم رجل مجنون موثق في الحديد فقالوا انك جئت من عند هذا الرجل بخير فارق لنا هذا الرجل فرقاه بها ذكر ذلك الحافظ في الفتح .

٧ - **الحديث السابع** : عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرأ على مبتلي في اذنه فافاق فقال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما قرأت قال : افحسبتم انما خلقناكم عبثا الى آخر السورة فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لو ان رجلا مؤمنا قرأ بها على جبل لزال . قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد رواه ابو يعلي وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن ومثله في المطالب العالية للحافظ ابن حجر[1] وفي الحديث

---

(١) انظر ص ٣٤٩ جـ ٢ من المطالب .

تقرير النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابن مسعود في قراءته الآيات من آخر سورة المؤمنون على المبتلي ولم يكن قد سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانما هو شيء استنبطه باجتهاده ولما كان من الخير الذي لا يعارض المشروع أقره كصاحب الرقية بالفاتحة عند البخاري والتي عند اصحاب السنن وهما قضيتان احداهما لسعيد الخدري والثانية لعمه خارجة ابن عبد الصلت وهذه الثالثة لابن مسعود وهناك رابعة عند ابن حبان لعلاقة ابن حجار وهي الحديث الثامن .

٨ ـ **الحديث الثامن** : اخرج ابن حبان في صحيحه عن علاقة بن حجار السليطي التميمي انه اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم اقبل راجعا من عنده فمر على قوم عندهم رجل موثق بالحديد فقال اهله أنه قد حدثنا ان صاحبكم قد جاء بخير فهل عندك شيء ترقيه ؟ فرقيته بفاتحة الكتاب فبرأ فأعطوني مائة شاة فاتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال خذها فلعمري لمن اكل برقيه باطل فقد اكلته برقيه حق ا هـ من موارد الظمآن من زوائد ابن حبان للهيثمي[١] .

٩ ـ **الحديث التاسع** : في البخاري في فضائل قل هو الله احد عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سمع رجلا يقرأ بقل هو الله احد يرددها فلما اصبح جاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر له ذلك وكان الرجل يتقالّها فقال صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن .

قال الحافظ في الفتح القاري هو قتاده بن النعمان اخرجه احمد بن طريف ابن الهيثم عن ابي سعيد قال بات قتادة بن النعمان يقرأ من الليل كله قل هو الله احد لا يزيد عليها والذي سمعه لعله اخوه لامه ابو سعيد وكانا متجاورين وبذلك جزم ابن عبدالبر . وقد خرج الدار قطنى من طريق اسحاق بن الطباع عن مالك في هذا الحديث بلفظ ان لي جارا يقوم بالليل فما يقرأ الا بقل هو الله احد ا هـ[٢]

وفي الحديث اقرار الرسول صلى الله عليه وسلم له على هذا التخصيص والاقتصار على هذه السورة في قيام الليل مع ما فيه من

(١) انظره ص ٢٧٦
(٢) انظر فتح الباري ص ٤٣٥ جـ ١٠ .

التخصيص الذي لم يكن من عمله « صلى الله عليه وآله وسلم ». وفيه ما في سابقيه برقم ٣ و ٤ من الدلالة على جواز تخصيص بعض القرآن بميل النفس اليه والاستكثار منه ولا يعد ذلك هجرانا لغيره ومع كل هذا فلم نجد من العلماء من قال بافضلية قيام الليل بها وحدها لأن ما كان عليه عمل الرسول من القراءة بالقرآن كله افضل من ذلك ولكن عمله وما يشبهه داخل في نطاق السنة ولبس فيه ما يذم بل هو محمود على كل حال وفيه رد على المبُدعين كالاحاديث السابقة والتي ستأتي .

١٠ ـ **الحديث العاشر** : روى اصحاب السنن واحمد وابن حبان في صحيحه عن أبي بريده عن أبيه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد فاذا رجل يصلي يدعو : اللهم اني اسألك باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الاعظم الذي اذا سئل به اعطى واذا دعى به اجاب ا هـ . وهذا دعاء انشأه الصحابي فيما يظهر ولما كان مطابقا للمطلوب اقره صلى الله عليه وآله وسلم باعلا درجات الاقرار والرضاء ولم يعلم ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم علمه اياه فنصوص الشريعة فيها العام المخصوص ، والعام الذي أريد به الخصوص وفيها الحقيقة والمجاز وما يجب أن يصار إليه عند التعارض إلى غير ذلك من القواعد الأصولية حتى قالوا : (ما مَن عام الا وخصصَ) ولا يمنع وجود (كل) من التخصيص كما سنراه في آيات الكتاب الكريم .

هذه القواعد لو عرفها المبدّعون لما اطلقوا السنتهم بالتبديع على اي من انواع الخير ولما اطلقوا لأقلامهم العنان في اتهام الأئمة الاعلام مما لا يقبل اقل منه من الجهابذة فضلا عن الاقزام المتطفلين على موائد العلم المتعاملين وهم بالجهل موصوفون أنظر كيف يقولون عن الأئمة : (انهم بتقسيم البدعة فتحوا للبدع والمحدثات الأبواب على مصاريعها) ص ٥٨ . وحاشاهم لأنهم افهم بكلام الله ورسوله من غيرهم واخشى لله واطوع له ومع هذا الاتهام الخطير فالمنقول عن الامام الشافعي انه قال (البدعة بدعتان محمودة ومذمومة فما وافق السنة فهو محمود وما خالفها فهو مذموم) فهل الشافعي معني بهذه التهمة الشنيعة وهذا عمر بن الخطاب الخليفة الثاني رضي الله عنه بقوله (نعمت البدعة) ويؤثر

مثل ذلك عن ابن عمر فهل هما مشاقان لله ورسوله لأنه يلزم من قولهما ان في البدعة محمود ومذموم وهناك جمهور من العلماء قرروا هذا التقسيم منهم النووي وابن عبد السلام والقرافي وابن العربي وخاتمة الحفاظ ابن حجر فهل هؤلاء كلهم لا يفهمون كلام الله وكلام الرسول ؟ استغفر الله العظيم من هذا الافك لماذا كل هذا لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال (وكل بدعة ضلالة) وهذه الكلية تقتضي عندهم شمول الضلالة لكل محدث والمؤلف لا يعرف قواعد الاصول ، وان في كلام الله ، وكلام رسوله كثير من الكليات والعمومات من العام المخصوص او العام الذي اريد به المخصوص . ومع كل هذا فان لهم تقسيما آخر : البدعة المكفرة . والبدعة المحرمة والبدعة المكروهة تحريما والبدعة المكروهة تنزيها لم يدخل الحكم الخامس وهو البدعة المباحة لأنهم يرون ان البدع مخصوصة بالعبادة فهم يقسمونها الى دينية ودنيوية وكأن المباح ليس من احكام الدين وكأن البدع التي تكون في غير العبادات لا يشملها الحديث ـ وهذا ايضا تخصيص منهم لهذه الكلية التي يرفضون ان يقبل فيها تخصيص ـ والنبي صلى الله عليه و آله وسلم يقول (من احدث في امرنا ما ليس منه فهو رد) وفي رواية في ديننا . وشرع الله ودينه شامل لكل تصرفات المسلم عباداته ومعاملاته واحكامه واقضيته وانكحته ومواريثه وكل اعماله وكلها تدخلها البدع المحرمة ومن اخطر هذه البدع العقائد التي خرجت بها طوائف من الدين .. وبدع الحكم واخطرها الخروج عن شريعة الله وهذه البدعة التي تؤول الى الكفر قد شملت معظم البلاد الاسلامية التي عمل لها اعداء الاسلام من المستشرقين واذنابهم حتى اخرجوا المسلمين عن شريعتهم وعقيدتهم واضطروهم الى التحاكم الى الطاغوت التي يسمونه القانون . والعجيب والغريب ان الذين يعملون على اثارة الخلافات في المسائل الفرعية ويبدعون فيها من يخالفهم لا نجد لهم صوتا ولا حرفا في المسائل الكبرى التي وقع فيها المسلمون في كل بلد مع ان العمل فيها فرض عين في هذه الازمان مما يضع عليهم علامة استفهام ذلك لأن اثارة المسائل الخلافية في الفروع وفي هذا الزمن بالذات وهي المسائل التي وسعت المسلمين واصحاب المذاهب منذ القدم فان اثارتها في هذا الزمن يفرق ولا يجمع مما يساعد على التناحر والتنافر والتراشق بالتهم والتبديع والتضليل ولا

مصلحة للمسلمين في ذلك . والعمومات في الكتاب والسنة كثيرة وكلها دخلها التخصيص او كانت من العام الذي اريد به الخصوص كقوله تعالى « **تدمر كل شيء باذن ربها** » وبالتأكيد فهي لم تدمر الارض كلها ولا الكواكب . وكقوله تعالى (**وان ليس للانسان الا ما سعى**) مع ان هناك من الادلة ما يبلغ التواتر في ان المسلم ينتفع بعمل غيره من اخوانه المسلمين ودعاء الملائكة كما قرر ذلك شيخ الاسلام بن تيمية وذكر اكثر من عشرين موضعا بدلائلها اولها صلاة الجنازة والصدقة عن الميت ثم دعاء المؤمنين وفي العموم الذي اريد به الخصوص قوله صلى الله عليه وآله وسلم (في الحبة السوداء شفاء من كل داء الا السام) والحديث في البخاري . وقد اجمع الشراح انه ليس على عمومه مع أن فيه الكلية (كل).

ومن ذلك حديث مسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (لن يلج النارَ احد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) وهو من صيغ العموم قطعا ليس على عمومه فان من صلى هاتين الصلاتين الفجر والعصر وترك ما عداهما من الصلوات والواجبات ليس مرادا قطعا فهو من العام الذي اريد به الخصوص او من العام المخصوص بالنصوص . (قال الطيبي كما نقله عنه الحافظ ابن حجر واقره : ان الاحاديث اذا ثبتت وجب ضم بعضها الى بعض فانها في حكم الحديث الواحد فيحمل مطلقها على مقيدها ليحصل العمل بجميع ما في مضمونها : ومن العام الذي اريد به الخصوص قوله تعالى : « **الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم** » فان المراد بالناس في الاول المخبرين وهم لا شك عدد محدود والناس (الثاني) هم ابو سفيان وجماعته من مشركي مكة الذين قاتلوا الرسول والمسلمين في احد وليس هم كل الناس . كذلك قوله تعالى : « **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم** » - واسم الموصول من صيغ العموم ولكن مما لا شك فيه ان عيسى عليه السلام وامه والملائكة وكلهم عبدوا من دون الله غير مرادين في الآية فهو من العام الذي اريد به الخصوص . وكقوله تعالى : (**فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء**) مع ان ابواب الرحمة لم تفتح عليهم » . ومن ذلك قوله تعالى لنبيه : « **وشاورهم في**

الأمر » . فمن المعلوم أنه لا يشاورهم في التشريع والاحكام فعن ابن عباس رضي الله عنهما (وشاورهم في الامر) اي في بعض الامر وهو تفسير لا تلاوة ... فأذا عزم الرسول صلى الله عليه وسلم على أمر لم يكن لبشر ان يتقدم على الله ورسوله[1] كذلك قوله تعالى : « **لتجزى كل نفس بما تسعى** »[2] وفي الكتاب العزيز والسنة النبوية من هذه العمومات المخصوصة او التي يراد بها الخصوص شيء كثير يتسع لها مجلد كامل للمتتبع فكيف ينكر على جمهور من العلماء الراسخين قولهم في هذا الحديث « كل بدعة ضلالة » انه من العام المخصوص او الذي اريد به الخصوص واعتبرهم المؤلف ـ سامحه الله لذلك من المشاقين لله ورسوله والمحادين لهما . وحاشاهم . قال النووي[3] على قوله صلى الله عليه وآله وسلم « وكل بدعة ضلالة » هذا عام مخصوص المراد به المحدثات التي ليس في الشريعة ما يشهد لها بالصحة فهي المرادة بالبدع . وقال الحافظ ابو بكر ابن العربي في شرحه على سنن الترمذي : ـ (السابعة قوله : واياكم ومحدثات الامور . اعلموا علمكم الله ان المحدث على قسمين : محدث ليس له اصل الا الشهوة والعمل بمقتضى الارادة فهذا باطل قطعا (اي) وهو البدعة الضلالة . ومحدث يحمل النظير على النظير فهذه سنة الخلفاء والائمة الفضلاء . قال وليس المحدث والبدعة مذمومان للنظر (محدث وبدعة) ولا لمعناهما فقد قال الله تعالى : (**ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث**) وقال عمر (نعمت البدعة) وانما يذم من البدعة ما خالف السنة ويذم من المحدث ما دعا الى ضلالة . وهذا هو عين ما سبق اليه الامام الشافعي رحمه الله وقرره في تقسيم المحدث الى محمود ومذموم وهكذا نجد الأئمة الذين جاؤوا بعد الشافعي مثل سلطان العلماء العز ابن عبد السلام من الشافعية والامام النووي وابن الأثير من الشافعية وابن العربي والقرافي من المالكية وغيرهم كثير آخرهم الحافظ ابن حجر العسقلاني كلهم اقروا تقسيم المحدث الى محمود مذموم وانه قد تعتريه الاحكام الخمسة بحسب الاصل الذي يبنى عليه والشواهد التي تشهد له او عليه او لما يترتب عليه من المصالح او المفاسد او مصادمة الشرع او موافقته وهذا لا محيص من القول به لمن عرف

---

(١) انظر فتح الباري ص ١٠٣ جـ/١٧ .
(٢) فكل نفس وفي امثاله مخصوص بما لا يغفر الله . واما ما يغفره فغير داخل في الكلية
(٣) راجع حاشية السيوطي على سنن النسائي ص ٢٣٤ جـ ٢ .

السنة وقواعدها من الاصول والفقة وهذا لا يتم الا لمن كان له الباع الطولي والفقه الصحيح والفهم العميق للشريعة ومقاصدها . وليس ذلك لكل مدع متطاول لا يعرف الا طرفا من العلم اذا وجد نصا تمسك به ضاربا عرض الحائط بكل ما عداه من نصوص وقواعد ومفاهيم وتقريرات أولى العلم وما اثر عن الصحابة ومن بعدهم اما جهلا او تجاهلا ظانا ان ذلك هو الصواب وكل ما عداه خطأ محاده لله ورسوله كالمؤلف سامحه الله[١] وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . اذ يقول (من يرد الله به خيراً يفقه في الدين) ومفهوم الحديث واضح ان من لم يرد به خيرا لم يفقه في الدين فيقع في الجهل المركب فيجهل العلماء ومعلوم ان الفقه في الدين يسوق الى النظر الفاحص وتتبع النصوص وحمل بعضها على بعض واعمال كلام الله وكلام رسوله ما امكن وحمل اعمال علماء المسلمين واقوالهم على الخير ما وجد لذلك محملا اذ هو من باب حسن الظن بالمسلمين المأمور به بل هو من اوثق عرى الايمان كما في الحديث ثم مع تتبع الادلة عليه ان يتعرف كلام العلماء الراسخين وهم الاكثرون علماً والذين هم اعظم فهماً وورعاً وتعليقهم على هذه الادلة وما لهم فيها من جمع او تأويل ثم ما جاء عن الصحابة الكرام قولاً او عملاً بما يفسر مراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم اعرف بمراده وقصده ممن جاء بعدهم هكذا كان علماء الدين رضي الله عنهم اجمعين ولهذا لن تجد فيما قرروه او استحبوه استنباطا ما يخالف نصا الا لمعارض ولا ظاهرا الا بتأويل مقبول **ولا تجد بينهم من يبدع مخالفيه او يضلله** لعلمه بان له متمسكا ومستدلا بما يصلح له ترجيحه وان عارض ترجيح غيره **ولهذا لا تجد عندهم اطلاق التبديع الا على الفرق المنحرفة في العقائد دون تكفير لهم ما داموا يشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة الا من جحد معلوما من الدين ضرورة فهذا الذي اعلنوا كفره اذ لا سبيل الى التأويل** . واما التبديع والتضليل للفرق المنحرفة في العقائد (كالباطنية والقدرية والخوارج) فهم الذين اجمع اهل السنة على تبديعهم

---

(١) روى عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله قال قال ابن مسعود ان الرجل ليحدث بالحديث فيسمعه من لا يبلغاعقله فهم ذلك الحديث فيكون عليه فتنة وصدق ابن مسعود راجع ص ٢٨٦ جـ ١١ المصنف .

وتضليلهم لتوافر النصوص وتظاهرها عليهم فالخوارج اول الفرق التي ظهرت بدعتها وتشددوا في مسلكهم حتى كفروا امير المؤمنين علياً والصحابة الذين معه اخذا بالظواهر والعمومات التي نزلت في المشركين واشاعوا القول بالتكفير للمخالفين لهم في العقيدة واستباحوا دماءهم واموالهم ... اخرج ابن مردوية عن مصعب ابن سعد قال نظر رجل من الخوارج الى سعد يعني ابن ابي وقاص رضي الله عنه فقال هذا من ائمة الكفر فقال سعد كذبت انا قاتلت ائمة الكفر فقال آخر منهم هذا من الأخسرين اعمالا فقال سعد كذبت اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه الآية . ذكره الحافظ في الفتح[1] وروى الطبراني في الكبير والاوسط قال غزا عمارة بن قرض غزاة ، فمكث فيها ما شاء الله ثم رجع حتى اذا كان قريبا من الاهواز سمع صوت أذان فقال والله ما لي عهد بصلاة بجماعة من المسلمين منذ ثلاث وقصد نحو الآذان يريد الصلاة فاذا هو بالازارقة (قوم من الخوارج) . فقالوا ما جاء بك يا عدو الله فقال : ما أنتم اخواني ؟ قالوا انت اخو الشيطان لنقتلك قال اما ترضون مني بما رضى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا اي شيء رضى به منك قال أتيته وانا كافر فشهدت ان لا اله الا الله وانه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فخلى عني قال فاخذوه فقتلوه . قال في مجمع الزوائد رجال اسناده رجال الصحيح[2] **هذه البدعة الضلالة وهذا ما وقع ويقع من اتباعهم في كل عصر وهم انما اوتوا من حيث اغترارهم بانفسهم واخذهم بظواهر الآيات والاحاديث فهم لا يرون الحق الا معهم وكل من خالفهم فهو ضال مبتدع او كافر مشرك بل لا يستمعون الا من كان منهم وعلى شاكلتهم وينظرون الى جمهور الامة بالمنظار الاسود فاما مبتدعة او مشركون خارجون عن الاسلام والمقصود ان واجب المسلم ان يحسن الظن بالمسلمين فضلا عن علماء الامة لأن اثارة المسائل الفرعية التي اختلف العلماء فيها بطريقة تسيء الظن بهؤلاء المجتهدين او تشي بشيء من ذلك فيه هدم للدين وتفرقة للامة التي وسعها أختلاف الائمة في الفروع منذ عصورها الاولى دون ان يفرق بينهم في العقيدة والاحترام والتضامن والتعاطف وكلهم متدينون غيورون على الدين لاكما يظن**

(١) راجع ص ٤٠ جـ ١٠ فتح الباري
(٢) انظر مجمع الزوائد ص ٢٦ جـ ١

المتفيهقون في هذا العصر الذين يدعون الاجتهاد في مسائل الدين وهم اجهل الناس به وليس لديهم من ادوات الاجتهاد شيء الا مجرد الدعوى بل هم مقلدون لأناس مشبوهين طلعوا على الامة بآراء ينقدون فيها اجتهادات الأئمة الذي شهدت لهم الامة بالعلم والفقه والورع في الدين وكان لهم في الامة كما يقول العلامة شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله لسان صدق .

انظر كلامه في كتابه (جواب اهل العلم) في معرض الرد على بعض المبتدعة في بعض الاقوال التي ينتحلها قال رحمه الله (والمقصود ان هذين القولين لا يقدر احد ان ينقل واحدا منها عن احد من السلف اعني الصحابة والتابعين لهم باحسان وسائر ائمة المسلمين المشهورين بالعلم والورع في الدين الذي لهم في الامة لسان صدق في زمن احمد بن حنبل ولا زمن الشافعي ولا زمن ابي حنيفة ولا قبلهم) ا هـ[1] وصدق عبدالله بن مسعود رضي الله عنه لا يقلدن احدكم دينه رجلا فان آمن آمن وان كفر كفر وان كنتم ولا بد مقتدين فاقتدوا بالميت دون الحي فان الحي لا يؤمن عليه الفتنة[2] ا هـ **والمقصود تحذير الشاب المسلم من القول على الله ورسوله بما لا يبلغ فيه درجة الفهم التام والاحاطة حتى لا يسلك مسالك الخوارج الذين ضللو خيار الامة بآرائهم واهوائهم واعتمادهم على عمومات الكتاب ولم يكن عندهم من العلم غير هذه الظواهر التي كثيرا ما يقع صاحبها في الخطأ فان كان ولا بد فلنفسه . فلا يجوز ان يطلق لسانه بالتبديع والتضليل لعلماء الامة ولا لاتباعهم ما لم تكن المسألة متفق عليها بين العلماء** لأن مسالك العلماء في فهم البدعة مختلفة اختلافا كثيرا فمنهم من يعمم والتعميم فيه خطر لانه قد يوقع الصحابة وخيار الامة من التابعين ومن بعدهم فيه ومنهم من قسم وخصص تحرجا من الوقوع في مثل ذلك وبعض المقسمين قالوا بدعة حقيقية وبدعة اضافية الى آخر التقسيمات التي قد نشير الى شيء منها فيما بعد وكل له مأخذه فعند الاختلاف لا يسع العاقل الحريص على دينه الا ان يحكي اقوال العلماء والوقوف عند الحد الذي حده له الشارع **وليعتبر بالخوارج واضرابهم فقد ضلوا بنص الاحاديث الصحيحة لاعتقادهم الحق فيما يعتقدونه ولم يكتفوا**

---

(١) انظر ص ٢٣ في كتاب جواب اهل العلم
(٢) رواه الطبراني في الكبير وقال في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح انظر المجمع ص ١٨٠ جـ ١

بذلك بل ضللوا من خالفهم من الصحابة ومن بعدهم ممن لا يرى رأيهم ولهذا ذمهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحكم بانهم مارقون من الدين مع انهم اكثر الناس تمسكا بالدين ظاهرا وتشددا في العبادة ولكنهم اوتوا من حيث غرورهم بانفسهم ورميهم مخالفيهم بالضلال .

روى الامامان البخاري والمسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان بعدي من امتي قوما يقرأون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يقتلون اهل الاسلام ويدعون اهل الاوثان يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرقبة لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد) . وقال البخاري **كان ابن عمر يراهم شر خلق الله وقال انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين** . علقه البخاري وقال الحافظ في الفتح وصله الطبري في تهذيب الآثار باسناد صحيح ا هـ . واخرج ابو يعلي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما اخافه عليكم رجل قرأ القرآن حتى اذا رؤيت بهجته عليه وكان رداؤه الاسلام انفسخ منه ونبذه وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك قال قلت يا نبي الله ايهما اولى بالشرك المرمي او الرامي) قال : الرامي قال الحافظ ابن كثير اسناده جيد . واخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله (من قال لاخيه يا كافر فقد باء بها احدهما فان كان كما قال والا رجعت عليه) . واخرجا عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (من دعى رجلا بالكفر او قال عدو الله وليس كذلك الا حار عليه - اي رجع عليه[1]) .

وقد روى الطبراني في (الكبير) عن عبدالله بن عمر باسناد حسن : (كفوا عن أهل لا إله إلا الله) لا تكفروهم بذنب (وفي رواية) ولا تخرجوهم من الاسلام بعمل .

ومثل الكفر والشرك وعدو الله . (اللعن) كما في الحديث وكذلك التبديع والتضليل فانهما قرينا الكفر والشرك **والسبب الاعم في جميع ما سبق في الخوارج ومن نحا نحوهم في التبديع والتضليل هو الغلو في الدين وعدم الفقه والتفقه في مقاصد الشريعة مع الاعجاب بالنفس ودعوى الاحاطة بالشريعة حتى لا ترى الحق الا فيما**

---

(١) هذه الاحاديث منقولة من كتاب مخطوط للعلامة المحدث الاصولي علي بن محمد بن يحيا علوي الحضرمي .

تعتقده هي ولا تعتد باراء العلماء وافهامهم ولا تعبأ بمخالفتهم وهذه هي الروح الخارجية الممقونة التي ركز الشارع عليها ذمهم وهي اعجابهم بانفسهم واحتقارهم من عداهم حتى أداهم ذلك الى اطلاق التكفير والتضليل ثم استحلال دمائهم المعصومة **فهي لا تحاول مطلقا فرض المخارج الحسنة الممكنة التي هي من روح الاسلام والتي ربى الرسول صلى الله عليه و آله وسلم عليها صحابته الكرام في تحمل الخلاف في الرأي دون ان يفرق كلمتهم او يسيء بعضهم الى بعض رضي الله عنهم** واخذ العلماء عنهم هذا الخلق الحسن فكانوا يحترمون الفهم في الكتاب والسنة وان خالف افهامهم فيحكونه امانة اخرج ابو القاسم الاصبهاني في (الترغيب والترهيب) والخطيب في (المتفق والمفترق) عن سعيد بن المسبب قال ان **عمر رضي الله عنه وضع عشر كلمات حكم منها ان تضع امر أخيك على احسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك ولا تظنن بكلمة خرجت من اخيك المسلم سوءا وانت تجد لها في الخير محملا ا هـ** فنسأل الله العلي القدير ان يجنب شبابنا وطلاب العلم منهم بالخصوص هذه الروح الخبيثة ويهديهم سواء السبيل حتى يعرفوا دينهم ويعتزوا برجالهم وعلماء الامة الذي نقلوا الينا هذا الدين واجهدوا انفسهم واعمارهم ليصل الينا ثروة عظيمة تعتز بها الامة الاسلامية وتراثا ضخما لا يوجد في الدنيا له مثيل فقهاً ونقلاً ونقداً وتمحيصاوتقعيداًوحسبنا الله ونعم الوكيل وهنانعود لما بدأناه من تحقيق السنة والبدعة لنرى ان تقسيم العلماء رضوان الله عليهم لم يكن من فراغ ولم يكن لمجرد الهوى والشهوة فضلا عن المشاقة لله ورسوله وحاشاهم ... **وقد كان الامام حسن البناء رحمه الله** يحذر اتباعه من الانشغال بمحاربة البدع الاضافية لأن في محاربة البدع الحقيقية شغلا ويريد بالبدع الحقيقية ما خالف الدين من المنكرات التي لا خلاف بين العلماء في حد منها وضررها على الدين وما اكثرها واخطرها بين المسلمين ومراده بالبدع الاضافية ما اندرج تحت أصل عام في الطلب ولكن صورته غير مأثورة كسائر المسائل المستنبطة والمختلف فيها بين الفقهاء وهذا منه ادراك لخطورة البدع الحقيقية وخطورة السكوت عنها والانشغال بغيرها . اما الخلافات المذهبية فهي امر ضروري والاجماع على امر فرعي متعذر : (فعلينا ان نعتقد الحق فيما بلغنا ونلتمس العذر كل العذر لمن يخالفوننا في بعض الفرعيات ولا

يكون حائلا بين ترابط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير) وكلامه هذا من جملة التقسيم التي الجأت اليها النصُوص كما سترى ولما كان الكتاب الذي اشرت اليه ليس فيه تقعيد فاني آثرت قبل تتبع الرد على مواضع الخطأ ان اقدم بحثا عن السنة والبدعة فاذا عرفت السنة عرفت البدعة المضادة لها وان آتي في القسم الاول بالادلة التي تثبت ان سنة الرسول هي طريقته وان طريقتـه الواضحـة بالنصوص المتكاثرة هي قبول كلما ما كان من الخير الذي جاء به ولم يصادم نصا ولم يخالف هدى الرسول صلى الله عليه و آله وسلم فهو من السنة وان لم يسبق ان الرسول فعله بذاته أو أمر به وان البدعة هي ما صادم نصا او خالف هدى الرسول صلى الله عليه و آله وسلم او ترتبت عليه مفسده وهذا هو معنى قول علمائنا ان البدعة المضلة الواردة في الحديث الشريف هي المنافية لامر الشرع والتي ليست هي مما طلبه الشرع بدليل خاص او عام . وان كلما كان من الشرع وشهد له بالطلب دليل خاص او عام فليس هو بالبدعة الشرعية المرادة في الحديث وان سمي بدعة باعتباره اللغوي الشاملة للحسن والقبيح . ولقد تتبعت ما كتبه المخالفون عن البدعة . فاذا علمهم كله محصور في حديث واحد وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » ورمي كل أحاديث الرسول صلوات الله عليه وآله ـ الدالة على حيازة كل خير ـ والتي يستفاد منها حكم جميع الحوادث فعند هؤلاء كل شيء حدث بعد عهد الرسول وان كان من الخير ومن الأمور الدينية الموافقة لدين الله وتشملها اوامر الله . (فالاستكثار من الخير خير) . فعند هؤلاء هو بدعة ضلالة . وهذا علم لا يحتاج الى جهد كبير ، ولكنه تضخم في نفوسهم . وان هذا الحديث يجب ان يعرض على نصوص الادلة الاخرى لانه عام وقد عارضه في عمومه ادلة خاصة وعامة فاقول :

اولاً : ان هذا الحديث عام اريد[1] به الخصوص لأنه يخالف حوافز النصوص التي تدل على النظر في حكم الحادثة واستنباط الاحكام واستخراجها من الكتاب والسنة وهما يستوعبان كل احكام الحوادث بواسطة دخولها في مضامين الكلام منطوقا او مفهوما او عموما او خصوصا او نصا او ظاهرا او غير ذلك .

---

(١) العام الذي اريد به الخصوص يكون من اول الامر مستعمل في الخصوص اي يكون لفظ العام مجازا في الخصوص .

ثانيا : وقد عهد العموم الذي أريد به الخصوص في الكتاب العزيز والسنة المطهرة الا ترى الى قوله تعالى : « **فتحنا عليهم ابواب كل شيء** » ولم يفتح لهم أبواب الرحمة . وقوله تعالى : « **تدمر كل شيء** » ولم تدمر الجبال والسموات والارض . وقوله تعالى : « **واوتيت من كل شيء** » ولم تؤت عرش سليمان . قال الامام القرطبي في تفسيره في الكلام على الفطرة التي فطر الله الناس عليها من سورة الروم قال (والعموم بمعنى الخصوص كثير في لسان العرب) ثم ذكر ما قدمناه .

وقد ارسل النبي سرية بأمارة بعض أصحابه وامر اصحابه بالسمع والطاعة له فغضب فأجج نارا وأمرهم بدخولها بما أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم بالسمع والطاعة ، فقالوا انما آمنا وجاهدنا خوفا من النار فلما رجعوا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم اخبروه فقال لو دخلوها ما خرجوا منها انما الطاعة في المعروف وقد اخرج هذه القصة مسلم في صحيحه فلينظر لفظه . ومنه يعلم ان بعض العام يراد به الخصوص بحسب المعروف المعلوم بالعقل او الشرع وفي هذا الحديث نبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان عموم طاعته في هذا غير مراد . وفي البخاري والموطأ . (كل بني آدم يأكله التراب الاعجب الذنب) قال ابن عبد البر في التمهيد . ظاهر هذا الحديث وعمومه يوجب ان يكون بنو آدم كلهم في ذلك سواء الا انه قد روي ان اجساد الانبياء والشهداء لا تأكلها .

وهذا يدل على أن هذا اللفظ عموم يدخله الخصوص من الوجوه التي ذكرناها فكأنه قال كل ما تأكله الارض فانها لا تأكل منه عجب الذنب واذا جاز أن لا تأكل عجب الذنب جاز أن لا تأكل اجساد الانبياء والشهداء .

وحرم[1] النبي صلى الله عليه وآله وسلم الهجر فوق ثلاثة ايام مع انه صلى الله عليه وآله وسلم هجر الثلاثة الذين تأخروا عن تبوك وامر المؤمنين باعتزالهم وكذلك بعض الصحابة هجروا أناسا كما كان من علي مع اسامة رضي الله عنهما فالحديث مخصص . وقد جاء تخصيص

---

(١) ذلك في قوله (صلى الله عليه واله وسلم) لا يحل المسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث رواه مالك والبخاري والترمذي وابو داود والنسائي عن انس .

العموم في عشرات الآيات[1] في كتاب الله حتى قيل (ما من عام الا خصص) وقال جماعة من العلماء (لا يعمل بالعام الا بعد البحث عما يخصصه) .

ثالثا : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤيد فيما يحدث ما يوافق شريعته وينكر ما ليس موافقا لها فهذا عمر يقترح ان يتخذ مقام ابراهيم مصلى وان يحجب امهات المؤمنين قائلا : انه يدخل عليك البر والفاجر فانزل الله في موافقته القرآن لأنه اقترح ما هو اعظم المصالح الدينية . انظر هذا فقد اقره لما فيه من الخير .

ولكن معاذ لما جاء من الشام سجد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم . ظانا ان ذلك من الخير اقتداء بما رآه في الشام من تعظيم اهل الكتاب لرهبانهم وقديسيهم فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعظم لكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى ان يسجد لاحد غير الله . وذلك لأن السجود غير موافق لشريعته الحنيفية فانها مباينة لغلو أهل الكتاب في تقديسهم لأحبارهم ورهبانهم بالسجود لهم وجعل قبورهم مساجد فحرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلوك طريقتهم .. واجاز اقتراح عمر لما فيه من المصلحة وعدم الفساد وانظر الاذان فانه الفاظ معدودة لا تزيد ولا تنقص ومع ذلك لما جاءت الحاجة بسبب المطر الى النداء فيه امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنداء (الا صلوا في رحالكم) وهذا يدل على ان الحكم يدور مع المصلحة والحاجة . واحكام الشريعة تارة تنقل مع العلة وتارة مع عدمها وقد يعرف العلة الصحابي منها في بساط الكلام مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا قالوا ان فيهم راوي الحديث يقدم على غيره كما يقدم تفسير الصحابي على غيره .

رابعا : قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه بارك فعل اشياء كثيرة من الخير ليس فيها مفسدة ولا تخالف طريقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في نظام شريعته ثم ثبت عن الصحابة

---

(١) منها قوله تعالى : (من يعمل سوءا يجز به) مخصوص بقوله تعالى : (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) . وهذه الآية تخصص آيات اخرى فيها هذا العموم . ويخصص قوله تعالى (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها)، بقوله تعالى : (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) وقوله تعالى : اجيب دعوة الداعي اذا دعان بقوله تعالى : (فيكشف ما تدعون اليه ان شاء) وهذا كثير وانما هذه امثلة .

ما يقرب من التواتر المعنوي[١] ذلك كثيرا من الخيرات بعد عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . مما تدخل تحت ارشاده وهديه وان لم يفعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم تفعل في عهده .

فهذا يدل على انهم يخصون البدعة الضلالة بالبدعة المخالفة للشرع عقيدة او عملا فمن اخذ بعمومات الشريعة في فعل الخير وان لم يرد بعينه كقوله تعالى : « **وافعلوا الخير** » . ولعموم الحث على الاعمال الصالحة وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الصلاة خير موضوع) ثم لم يخالف نظام الشريعة في اداء هذا الخير فقد قام باعظم القرب .

وقد اخطأ بعض المتحذلقين في انكاره على الامام زين العابدين علي بن الحسين سبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأن هذا الامام كان له اوراد كبيرة من فعل الصلوات قال هذا المنكران هذا لم يفعله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان عمله ماشيا على ما كان عليه السلف وفي مقدمتهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الاستكثار من عمل الطاعات ففي البخاري عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بشيء احب مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان سألني اعطيته ولئن استعاذني لاعيذنه) ا هـ . وفي حديث آخر (عليك بكثرة السجود فانك لن تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة) . نقله في رياض الصالحين . فكيف ينكر عليه ذلك .

وهذا معاذ بن جبل .. قال هلال بن الأسود : كنا نمشي مع معاذ قال : اجلسوا نؤمن ساعة . وقد أخرجه ابن أبي شيبة[٢] من طريق جامع بن شداد عن الأسود بن هلال بإسنادين رجالهما ثقات أئمة وأخرجه عن عمرو عن علقمة التابعي .

---

(١) التواتر المعنوي هو ان يتفق جماعة كثيرة يؤمن تواطؤهم على الكذب على نقل حوادث مختلفة تتفق كلها على امر عام وهذا الامر العام هو الذي يقع فيه التواتر فقد عرف كرم حاتم وعدل عمر وعدل وعلم علي وشجاعته فان التواتر في ذلك معنوي .

(٢) قال ابن ابي شيبة في كتاب الايمان حدثنا وكيع نا الاعمش عن جامع بن شداد عن الاسود بن هلال عن معاذ واخرجه ابو عبيد في الايمان حدثني ابن مهدي عن سفيان عن جامع عن الاسود وعن معاذ واخرجه ابن ابي شيبة عن عمرو عن علقمة واسناد ابن عبيد ثقات كالذي قبله .

وهذا معاذ أعرف الناس بالحلال والحرام بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعمر الخليفة الراشد وهما يفعلان هذا الخير ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا ان الامام احمد روى باسناد حسن قال كان ابن رواحة اذا لقي الرجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول : (تعال نؤمن ساعة فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل فجاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . قال يا رسول الله الا ترى الى ابن رواحة يرغب عن ايمانك الى ايمان ساعة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرحم الله ابن رواحة انه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة) وقد علقه البخاري[١] .

وهذا عمر حكم في سواد العراق بعدم قسمته وابقاه لجميع المسلمين اولهم وآخرهم فان قيل هذا في غير العبادات . قلنا قد خصصتم عموم هذا الحديث اعني (كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) وهؤلاء الانصار الذين تبؤوا الدار والايمان كانوا يجتمعون لقراءة القرآن ولم يعهد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجمع الناس لقراءة القرآن . ولكن اخذوا ذلك من عموم قوله صلى الله عليه وآله وسلم (ما اجتمع قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة) الحديث وهو في صحيح مسلم .

خامسا : وقد امر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بما هو عليه واصحابه أي ومن اتبعهم على طريقتهم يدل عليه الحديث الذي يشيد بالعمل على سنته **وسنة الخلفاء الراشدين من بعدهم** [٢]اي طريقتهم وهي طريقة الخلفاء الراشدين وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن وعمر بن عبد العزيز وكل خليفة راشد آخرهم المهدي ويمكن ان يشمل خلفاءه في الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء الذين يسيرون على نهجه بحديث (العلماء ورثة الانبياء) وبتفسير اولى الامر بالعلماء الذين يستنبطون الاحكام كما في الآية[٣] . قال ابن مسعود : (ان الله اختار محمدا واختار له اصحابه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن) اخرجه احمد في مسنده . وقد اخطأ من نفى ذلك وهو حديث حسن وهذا ما

---

(١) كذا في كشف الخفا .

(٢) هوحديث ابي داؤود والترمذي عن العرباض وفيه فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي .

(٣) وهي آية النساء (٨٣) (ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) .

يجعل لاقوالهم جلالة واحتراماً فلا يقال فيما يفعلونه من الخير الذي له اندراج تحت اصل عام انه بدعة ضلالة إلا ان ما فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو السنة .

سادسا : قد يفهم مما تقدم ان كل من احدث عبادة في غير محلها الثابت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكون ذلك جائزا وليس كذلك بل هو بدعة سيئة .

فقد احدث بنو أمية بالهوى ولاغراض سياسية تقديم خطبة العيد على صلاتها فخالفوا النظام الذي رتبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهذا العمل وامثاله لا يدخل في الخير والاعمال الصالحة بخلاف الصلاة قبل صلاة العيد وبعدها وان لم يفعلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكنه في اصل عام (والصلاة خير موضوع) في اي وقت لا تكون الصلاة فيه مكروهة الا ان السنة ان لا يصلي قبلها ولا بعدها والعمل بالسنة اولى) .ا.هـ من مخطوط السيد عبد الله الحداد نفع الله تعالى به .

رأي وجيه في شذوذ (الشاطبي) عن الجمهور في تقسيم البدعة :

(أقول) : وحيث أنه طالما تذرع المخالفون لجمهور أهل السنة والجماعة في مفهوم وتقسيم البدعة بآراء الشاطبي صاحب (الاعتصام) وتترسوا بها لرد آراء الجمهور في هذه المسألة ، أحببت أن أورد رأياً وجيها للمحدث الشيخ عبدالله محمد الصديق حيث يقول في رده على كتاب (القول المبين):

قسم عز الدين ابن عبدالسلام في قواعده الكبرى البدعة باعتبار اشتمالها على المصلحة والمفسدة أو خلوها عنهما إلى أقسام الحكم الخمسة الوجوب والندب والحرمة والكراهة والاباحة ومثل لكل قسم منها وذكر ما يشهد له من قواعد الشريعة وكلامه في ذلك كلام ناقد بصير أحاط خبرا بالقواعد الفقهية وعرف المصالح والمفاسد التي اعتبرها الشارع في ترتيب الاحكام على وفقها ومن مثل سلطان العلماء في معرفة ذلك ؟فجاء تقسيمه للبدعة مؤسسا على أساس من الفقه وقواعده متين ، ولذا وافقه عليه الإمام النووي والحافظ ابن حجر وجمهور العلماء وتلقوا

كلامه بالقبول ، ورأوا أن العمل به متعين في النوازل والوقائع التي تحدث مع تطور الزمان وأهله ، حتى جاء صاحب (الاعتصام) فخرج عن جمهرة العلماء وشذ بانكار هذا التقسيم فبرهن بهذا الإنكار على أنه بعيد عن معرفة الفقه ، بعيد عن فهم قواعده المبنية على المصالح والمفاسد لا يعرف ما فيه مصلحة فيطلب تحصيلها بفعله ، ولا يدري ما فيه مفسدة فيطلب اجتنابها بتركه ولا ما خلا عنهما فيجوز فعله وتركه على السواء وأخيرا برهن على أنه لم يتذوق علم الأصول تذوقا يمكنه من معرفة وجوه الاستنباط وكيفية استعمالها والتصرف فيها بما يناسب الوقائع ، وان كان له في الأصول كتاب (الموافقات) فهو كتاب قليل الجدوى عديم الفائدة وإنما هو بارع في النحو له فيه شرح على ألفية ابن مالك في أربعة مجلدات دل على مقدرته في علم العربية ، على أنا وان كنا نعلم أن للشاطبي دراية بعلم أصول الفقه على سبيل المشاركة فلا نشك في أن سلطان العلماء فيه أمكن ، وعلمه بقواعده أتم ، وقواعده الكبرى خير شاهد على ذلك ، واني لأعجب من الشاطبي كيف أنكر على سلطان العلماء ذلك التقسيم مع أنه بناه كما قلنا على اعتبار المصالح والمفاسد التي اعتبرها الشارع في ترتيب الأحكام على وفقها ، **ولم ينكر على المالكية القول (بالاستصلاح) الذي لم يعتبره الشارع ولا قبله جمهور العلماء بل أنكروه وأبوا أن يرتبوا عليه أحكاما** كما فعل المالكية لعدم اعتبار الشارع له ؟! ما القول بهذا مع انكار ذاك إلا تعصب مذهبي ظاهر ، ولا يمكنه أن يتمسك لانكاره بحديث « كل بدعة ضلالة » لأن البدعة التي هي ضلالة من غير استثناء هي البدعة الاعتقادية كالمعتقدات التي أحدثها المعتزلة والقدرية والمرجئة ونحوهم على خلاف ما كان يعتقده السلف الصالح فهذه هي البدعة التي هي ضلالة لأنها مفسدة لا مصلحة فيها اما البدعة العملية بمعنى حدوث عمل له تعلق بالعبادة أو غيرها ولم يكن في الزمن الأول فهذا لا بد فيه من التقسيم الذي ذكره عز الدين ابن عبد السلام ولا يتأتى فيه القول بأنه ضلالة على الاطلاق ، لأنه من باب الوقائع التي تحدث على ممر الزمان والأجيال ، وكل واقعة لا تخلو عن حكم لله تعالى اما منصوص عليه أو مستنبط بوجه من وجوه الاستنباط ، **والشريعة إنما صلحت لكل زمان ومكان وكانت خاتمة الشرائع الإلهية واكملها بما حوته من قواعد عامة ، وضوابط كلية ، مع ما أوتيه علماؤها من قوة الفهم في نصوصها**

ومعرفة بالقياس والاستصحاب وأنواعهما إلى غير ذلك مما خصت به شريعتنا الغراء ، ولو اتبعنا طريقة الشاطبي وحكمنا على كل عمل حدث بعد العصر الأول بأنه بدعة ضلالة من غير أن نعتبر ما فيه من مصلحة أو مفسدة لزم على ذلك اهدار جانب كبير من قواعد الشريعة وقياساتها وتضييق لدائرتها الواسعة وفي ذلك ما لا يخفى ، فظهر بهذا البيان الوجيز خطأ انكار الشاطبي رحمه الله تعالى وصواب ما ذهب اليه عز الدين ابن عبدالسلام ووافقه عليه جمهور العلماء . (ا . هـ).

المولد النبوي الشريف :

في بحث (البدعة والسنة) في هذا الكتاب ما يكفي لاثبات مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وحيث خصص كل من الشيخ ابن منيع في (حواره) والشيخ التويجري في (رده القوي) صفحات كثيرة لمهاجمة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف واثبات بدعيته فاني سوف اصدر باذنه تعالى كتابا خاصا منفصلا حول هذا الموضوع وعلى قاعدة (ما لا يدرك كله لا يترك جله) احببت ان لا يخلو كتابي هذا من رد مختصر مفيد يوضح مشروعية المولد النبوي الشريف بقلم فضيلة الشيخ الدكتور محمد سعيد ملا رمضان البوطي من علماء الشام المعروفين وعميد كلية الشريعة بجامعة دمشق .



« الفصل العاشر »

ردا على الذين ينكرون الاحتفال بالمولد النبوي :

ليس كل جديد بدعة

بقلم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

البدعة ، بمعناها الاصطلاحي الشرعي ، ضلالة يجب الابتعاد عنها ، وينبغي التحذير من الوقوع فيها . ما في ذلك ريب ولا خلاف .

وأصل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اتفق عليه الشيخان « من احدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهورد » وقوله فيما رواه مسلم : « ان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الامور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » .

ولكن ما هو المعنى المراد من كلمة « بدعة » هذه ؟

هل المراد بها معناها اللغوي الذي تعارف عليه الناس ، فيكون المقصود بها اذن ، كل جديد طارىء على حياة المسلم ، مما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احد من أصحابه ، ولم يكن معروفا لديهم ؟..

إن الحياة ما تزال تتحول بأصحابها من حال الى حال ، وتنقلهم من طور الى آخر .. ولا مطمع في امكان التغلب على قانونها هذا ، وربطه بمسمار من الثبات والجمود على حالة واحدة ، على مر الازمنة والعصور . وحتى الفترة القصيرة التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه ، لم تجمد الحياة خلالها على نسق مطرد ثابت ، بل استقبل النبي واصحابه منها اطوارا اثر اطوار .. ولكن (لحسن حظ ذلك الرعيل الاول) كان المصطفى صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم ، فكان يرحب بسنة الحياة هذه ، دون اي مقاومة لها او ثورة عليها . فكم من عرف جديد ايده ، وكم من كشف طارىء على حياة الصحابة والعرب رحب به ودعا اليه ، بعد ان تأمل فرآه لا يخالف من اصول الدين واحكامه شيئا . بل ربما يسر سبيل احيائه والاخذ به على خير وجه . حتى استظهر علماء الشريعة الاسلامية من ذلك ، القاعدة

القائلة : الاصل في الاشياء الاباحة ، واستنبط من ذلك علماء الحنفية وآخرون .. ان العرف ـ بقيود معينة ـ مصدر لا يستهان به من مصادر الشريعة واحكامها .

لا يعقل ـ إذن ـ أن يكون المقصود بالبدعة هذا المعنى اللغوي العام . بل ما رأينا واحدا من علماء المسلمين وفقهائهم ذهب في تفسير البدعة وتعريفها هذا المذهب العجيب . وانما تنطوي الكلمة على معنى اصطلاحي خاص ، فما هو ؟

البدعة والدين

أمامي تعريفات كثيرة للبدعة ، كلها يدور في فلك معنى اصطلاحي واحد ، وان تخالفت من حيث الصياغة والاسلوب . ولكني اختار منها تعريفين عرفها بهما الامام الشاطبي في كتابه الاعتصام وذلك لسببين : احدهما ـ ان الشاطبي يعد في مقدمة من خدم هذا البحث وتناوله بالشرح والتحليل من جوانبه . ثانيهما ـ انه يعد من اكثر العلماء المتقدمين محاربة للبدعة وتشددا في الابتعاد عنها .

التعريف الاول ، انها « طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة ، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله عز وجل « والتعريف الثاني انها » طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة ، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية » .

وانما رددها الشاطبي رحمه الله بين هذين التعريفين ، نظرا لرأي من حصر البدعة في العبادات ، ولرأي من عممها في سائر انواع السلوك والتصرفات . على انه مال فيما بعد الى ان البدعة انما تختص بالعبادات سواء منها القلبية وهي العقائد او السلوكية وهي سائر انواع العبادات الاخرى .

ولا يعنينا الآن أن نقف عند هذا الترديد باي نظر او تمحيص . انما الذي يعنينا ان نلاحظ قولهم في التعريف : « طريقة في الدين مخترعة ..» .

اذن ، فلكي ياخذ السلوك معنى البدعة وحكمها ، يجب ان يمارسه صاحبه على انه داخل في بنية الدين وانه جزء لا يتجزأ منه ، مع انه في واقع الامر على خلاف ذلك .. وتلك هي روح البدعة وسر تحذير الشارع منها ، وذلك هو الملاحظ في تسميتها : « بدعة » .

والمستند الذي يشكل الدليل القطعي على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « من احدث في امرنا هذا ما ليس منه ..» إذ المقصود بـ « امرنا هذا » الدين ، كما هو واضح ، وقوله عليه الصلاة والسلام فيما اخرجه الطحاوي : « ستة لعنهم الله وكل نبي مجاب : الزائد في دين الله ، والمكذب بقدر الله ، والمتسلط بالجبروت يذل من أعز الله ويعز به من أذل الله ، والتارك لسنتي ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتي ما حرم الله » .

ويتضح من ذلك ان مناط انكار البدعة وردها على صاحبها ، ان المبتدع يقحم في بنية الدين وجوهره ما ليس منه . ولما كان المشرع هو الله عز وجل ، لم يبق مجال لأي تزيد او تغيير على شرعه .

اما سائر الافعال والتصرفات الاخرى ، التي قد تصدر من الانسان ، دون ان يتصور انها جزء من جوهر الدين او واحد من احكامه ، وانما يندفع اليها ابتغاء تحقيق هدف او مصلحة له ، دينية كانت او دنيوية : فهي ابعد ما تكون عن احتمال تسميتها بدعة ، وان كانت مستحدثة في حياة المسلمين غير معروفة لهم من قبل ، بل مآلها ان تصنف إما تحت ما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : سنة حسنة ، أو تحت ما سماه : سنة سيئة . وانت تعلم انه صلى الله عليه وسلم قال فيما رواه مسلم وغيره « من سن في الاسلام سنة حسنة ، فله اجرها واجر من عمل بها بعده ، من غير ان ينقص من اجورهم شيء . ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير ان ينقص من اوزارهم شيء » .

ما هو المعيار

ويحتاج بيان هذا الامر الى تفصيل طويل ولكننا نقتصر منه على الموجز التالي :

- ان كانت الافعال والتصرفات التي تصدر من الانسان (مما لا يدخل في معنى البدعة التي تم بيانها) تتعارض مع اوامر او نواه ثابتة في الشرع ، فهي تسمى مخالفات (محرمة او مكروهة) لشرع الله عز وجل . لا فرق بين ان تكون هذه المخالفات مستحدثة او تكون قديمة معروفة كالمباذل الاخلاقية والاندية التي تشيع فيها المنكرات . وامرها واضح لا يحتاج الى بحث .

- وان كانت مرسلة ، اي غير معارضة ولا موافقة لشيء من احكام الشرع وآدابه التفصيلية . فهي تُصبغ ، من حيث احكامها ، بلون الآثار والنتائج التي تحققها . أي فما كان منها مؤديا الى تحقيق واحدة من سلم المصالح الخمسة التي جاء الدين لرعايتها (الدين والحياة والعقل والنسل والمال) فهو من قبيل السنة الحسنة ، ثم انه يتفاوت ما بين الندب والوجوب ، حسب شدة الحاجة اليه لتحقيق تلك المصلحة ، اذ قد يكون من ضرورياتها الذاتية وقد يكون من حاجياتهم الاساسية ، وقد يكون من تحسينياتها المفيدة ... وما كان منها متسببا الى هدم واحدة من تلك المصالح او الاضرار بها ، فهو من نوع السنة السيئة ، ثم ان درجة سوئه تتفاوت حسب مدى الضرر الذي قد يلحقه بتلك المصلحة ، فقد يكون مكروها وقد يصبح محرما . اما ما كان منه بعيدا عن اي تأثير ضار او مفيد لسلم تلك المصالح ، فهو من قبيل المباح او من قبيل العفو ، كما يعبر بعضهم .

واذا استوعبنا هذه الحقيقة ادركنا انه ليس ثمة ما يسمى بالبدعة الحسنة ، كما توهم ذلك بعض الباحثين . بل البدعة لا تكون الا ضلالة قبيحة ، وذلك لضرورة انها تعني التزيد على الدين والاضافة اليه . وهو لا يمكن ان يكون حسنا بحال من الاحوال .

وانما يدخل هذا الذي توهموه (بدعة حسنة) فيما سماه النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة الحسنة ، وهو ما اصطلح الاصوليون على تسميته فيما بعد بالمصالح المرسلة .

ومن أمثلة هذه السنة الحسنة تلك الاحتفالات التي يقوم بها المسلمون عند مناسبات معينة ، كبدء العام الهجري ، ومولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وعند ذكرى الاسراء والمعراج ، وذكرى فتح مكة وغزوة بدر ، ونحوها ، مما يتوخى منه تحقيق خير يعود الى مصلحة الدين ، سواء على مستوى الضرورات او الحاجيات او التحسينات .

ومن المفروغ منه ان ذلك كله مشروط بألا تستتبع هذه الاعمال آثارا ضارة تودي بجدوى ما حققته من المصالح او تلحق الضرر بمصلحة مقدمة عليها .

« المولد » ليس بدعة

هذا ما نعتقد انه المنهج العلمي الذي لا بديل عنه ، عند الخوض في ذكر البدع ومحاربتها وجذب الناس عنها . ولا ريب ان اتباع المنهج العلمي يوصلنا الى هذا القرار :

إن احتفالات المسلمين بذكرى مولده عليه الصلاة والسلام والمناسبات المشابهة ، لا تسمي بدعة قبل كل شيء . لان احدا من القائمين على امرها لا يعتقد انها جزء من جوهر الدين وانها داخلة في قوامه وصلبه ، بحيث اذا اهملت ارتكب المهملون على ذلك وزرا . وانما هي نشاطات اجتماعية يتوخى منها تحقيق خير ديني .

ثم انها لا تدخل تحت ما يسمى بالسنة السيئة ايضا ، ان روعي في اقامتها ان تخلو من الموبقات وان تهذب عن كل ما قد يعود على الخير المرجو منها بالنقض او الافساد .

واذا رأينا من يخلطها بما يسيء الى نتائجها ، فان التنبيه يجب ان يتجه الى هذا الخلط ، لا الى جوهر العمل بحد ذاته . والا فكم من عبادة صحيحة مشروعة يؤديها اناس على غير وجهها ، فتؤدي الى نقيض الثمرة المرجوة منها . افيكون ذلك مبررا للتحذير من ادائها والقيام بها ؟

نعم ، ان اجتماع الناس على سماع قصة المولد النبوي الشريف ، امر استحدث بعد عصر النبوة ، بل ما ظهر الا في اوائل القرن السادس الهجري . ولكن افيكون ذلك وحده كافيا لتسميته بدعة ، والحاقه بما قال عنه المصطفى عليه الصلاة والسلام : كل من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد ؟ اذن فليجردوا حياتهم من كل ما استحدث بعد عهده عليه الصلاة والسلام ـ ان كانوا يستطيعون ـ فان كل ذلك من البدع !

أقول بعد هذا كله : فلنفرض أننا مخطئون في فهم « البدعة » على هذا النحو ، وان الصواب ما يقوله الآخرون من ان كل ما استحدثه الناس ، حتى مما لا يدخلونه في جوهر الدين واحكامه ، بدعة محرمة ـ فان المسألة تغدو عندئذ من المسائل المختلف في شأنها والخاضعة للاجتهاد .

ومما هو معروف في آداب الدعوة الى الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ان القائم بهذا الشأن ينبغي (كلما وقف في موقف عام) ان ينهي عن المنكرات المجمع على انها كذلك ، ولا ينصرف عنها الى النهي عما اختلف فيه المسلمون من المسائل الاجتهادية التي لا يكلف المجتهدون فيها باكثر من الوقوف عندما قضت بـه اجتهاداتهم وفهومهم . اذ الامعان في النهي عن هذه المسائل لا يمكن ان ينتهي الا الى اثارة اسباب الشقاق وتصديع وحدة المسلمين وبث عوامل البغضاء فيما بينهم .

وان في حياتنا ومن حولنا من المنكرات الشنيعة والمفاسد الخطيرة ، التي لا خلاف في مدى جسامتها وسوء آثارها ، ما يكفي لأن نمضي العمر كله في معالجتها والسعي الى جمع الكلمة وتوحيد الصف للقضاء عليها . فلماذا نتشاغل عن هذا الذي اجمعت الامة على انه من المنكر الذي لا عذر في السكوت عليه ، ثم نشتغل بالانتصار لاجتهاداتنا الشخصية ومحاربة ما يقابلها ويكافئها من الاجتهادات الاخرى ؟! ـ هـ مقال الدكتور البوطي .

(خاتمة)

بحمده تعالى وفضله ومعونته وتوفيقه تم هذا الكتاب وأسأله تعالى أن يتقبله ويجعل فيه النفع وتقريب قلوب أمة حبيبه ومصطفاه سيدنا محمد وكلمتهم على الحق الذي أرسله تعالى به وهداه إليه ، لأنني حرصت فيه على تلمس وتقديم الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال وأعمال السلف الصالح رضوان الله عليهم كما حرصت على التزام آداب الاسلام وأحكامه فيما يتصل بأسلوب وطريقة الرد على المخالفين ومحاورتهم بالتي هي أحسن موقناً بأن (الحكمة ضالة المؤمن) وأنهم سوف يفيئون إلى الحق ويقبلونه متى عرفوه واهتدوا إليه بأدلته الجلية الواضحة .. فقد آن الأوان لهؤلاء الاخوان أن يرفعوا (الحاجز النفسي) الكثيف بينهم وبين جمهور المسلمين من أهل السنة والجماعة في العالم الاسلامي الرحيب وقد آن الاوان لأن يحج المسلم ويزور قبر نبيه صلى الله عليه وسلم ومسجده الشريف تحيطه عيون المودة والمحبة والاخاء وكيف ننتظر أن ننتصر على أعدائنا من اليهود والنصارى والمجوس وأعوانهم ونحن تحسبنا جميعاً وقلوبنا شتى يبدّع ويشرّك ويكفرّ بعضنا بعضاً والله سبحانه وتعالى يقول (**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) .

والله تعالى من وراء القصد وهو ولي التوفيق ولا حوة ولا قوة إلا به وهو المستعان وعليه التكلان وله الحمد في الأولى والآخرة وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

أعده وكتبه (الفقير إليه تعالى)
يوسف السيد هاشم الرفاعي
ص . ب (٤٢٠) الصفاة
المنصورية ـ الكويت



المراجع والمصادر

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ كتب السنة المشرفة
٣ ـ مجموع الأربعين اربعين من أحاديث سيد المرسلين للنبهاني
٤ ـ الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها للشيخ عبدالله سراج الدين .
٥ ـ الأقتراح في بيان الاصطلاح ـ للامام تقي الدين بن دقيق العبد
٦ ـ العقائد الاسلامية للشيخ سيد سابق
٧ ـ قضايا الوسيلة للشيخ محمد زكي ابراهيم .
٨ ـ طي السجل وأشرف الوسائل للسيد محمد مهدي الرفاعي الرواس
٩ ـ نور الاسلام للشيخ عبدالكريم محمد المدرس
١٠ ـ البرهان المؤيد ـ للسيد أحمد الرفاعي .
١١ ـ الدولة المكية بالمادة الغيبية للشيخ أحمد رضا خان
١٢ ـ لطائف المعارف ـ للامام ابن رجب الحنبلي .



المحتويات

الصفحة

الموضوع

الموضوع | الصفحة